الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

{مقرر}

توحيد ٢

الدكتور: أحمد القحطاني

العام الجامعي

١٤٤٦هـ

خدمة الطالب

توحيد القصد و الطلب

وهو طلب الله و قصد و إرادة رضاه ، فيتوجه العبد بقلبه و جوارحه إلى ربه بالعبادة، خالصاً له .

تعريفه توحيد القصد و الطلب (توحيد الإلهية) هو : إفراد الله – تعالى – بالعبادة .

أسماؤه : توحيد الإلهية ، و توحيد العبادة ، و التوحيد العملي ، وذلك لأنه يريد و يقصد إخلاص العبادة لله، فيتقرب إلى الله – تعالى – بالعبادة .

و العبد فيه قوتان : قوة علمية و قوة عملية ، و العملية لا تكون إلا عن علم ، لذا إذا عرف العبد ربه و علم صفاته (توحيد المعرفة والإثبات) يتوجه إليه بإخلاص العبادة له قاصداً بذلك وجهه (توحيد القصد و الطلب) .

أما علاقته بالشهادة (علاقة مطابقة) فمعنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله، فالشهادة تدل على توحيد القصد و الطلب (الإلهية) بالمطابقة ، و تدل على توحيد المعرفة و الإثبات (الربوبية و الأسماء والصفات) بالتضمن .

أهمية توحيد الإلهية

دل على أهمية توحيد القصد و الطلب عدة أمور، منها :

١- هو الغاية من خلق الخلق، قال تعالى : ((و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون))

٢- من أجله بعث الله الرسل ، قال تعالى : ((و لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))

٣- هو حق الله على العباد ، كما في حديث معاذ مرفوعاً : " حق الله على العباد ألا يشركوا به شيئاً "

٤- هو أول واجب على المكلف، و أول ما يُدعى إليه الناس، ففي حديث معاذ لما بعثه الرسول – ﷺ – إلى أهل اليمن قال : " فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله " و في رواية " عبادة الله " .

٥- أنه شرط قبول الأعمال، قال تعالى : ((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))

٦- هو طريق الخلود في الجنة ، و تركه طريق الخلود في النار ، فبه تحصل السعادة الأبدية، و في تركه الشقاء الأبدي.

من فضائل توحيد الإلهية :

١- به تحصل عصمة الدم، قال – ﷺ – : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله و نفسه إلا بحقها و حسابه على الله "

٢- أنه إذا كمل حرّم الله صاحبه عن النار، كما في حديث عبتان يرفعه : " فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله "

٣- أنه يُكفّر الذنوب، ففي الحديث القدسي : " يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي "

٤- أنه شرط لقبول الشفاعة ، فالله أخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه ورضاه ، قال تعالى : ((و لا يشفعون إلا لمن ارتضى)) و الله لا يرضا عن الشرك، قال تعالى : ((و لا يرضى لعباده الكفر)) ، لذا لا شفاعة لتارك التوحيد كما قال تعالى : ((ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع))

٥- أنه طريق الحياة الطيبة، قال تعالى : ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

٦-هو سبب لحصول الأمن والهداية،قال تعالى:((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))

منهج القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلهية

تنوعت أساليب القرآن في الدعوة لتوحيد الإلهية، فمن ذلك :

أولا : الأمر بالتوحيد و مكملاته، و النهي عن الشرك و منقّصات التوحيد، كقوله تعالى : ((و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً))

ثانياً : الإخبار بحال الموحدين في الآخرة وما لهم من نعيم، وبحال المشركين وما لهم من عذاب أليم، كقوله تعالى : ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ))

ثالثاً : ذكر الأدلة العقلية الدالة على توحيد الإلهية ، وبطلان الشرك فيه ، ومنها :

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية

٢- الاستدلال بتوحيد الأسماء و الصفات على توحيد الإلهية .

و الاستدلال بالربوبية و الأسماء و الصفات على توحيد الإلهية دليل عقلي ، لأن إثبات الربوبية و الكمال لله يلزم منه إثبات العبادة لله وتوحيده بها؛ لأن العبادة مبنية على كمال الحب وكمال الذل ، وهما لا يُصرفان إلا لمن بيده النفع و الضر، ولمن له الكمال ، لأنه المحبة تنشأ من العلم بما هو كامل ومن العلم بما هو نافع، فترغب النفس بالخير، و الذل ينشأ من الرهبة من الضر و توقي الشر ، و الله هو الكامل في نفسه المتصرف بكل شيء، فلزم صرف كمال الحب و الذل له .

وأيضاً: فكل إنسان له إرادة و قصد، فلزم وجود مقصود مراد ينتهي إليه لتحصيل المطلوب حتى تستقر نفسه، و توجه الإنسان لمفتقر مثله في كل الأمور لا يحصّل مطلوبه، لأنه لا يزال يطلب حتى تنتهي الغاية إلى غني، و إلا لزم التسلسل، و التسلسل في العلل الغائية أشد استحالة من تسلسل العلل الفاعلة، وكذا الدور فيها،كما ذكر ابن تيمية

ومن أمثلة هذا الاستدلال في القرآن، قوله تعالى : ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) ففي هذه الآية استدلال بتوحيد الأسماء و الصفات و بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية .

٣- الاستدلال بضرب الأمثال، إذ الأمثال تقرّب المعنى إلى العقل وتصوره بصورة المحسوس، وفي هذا أثر عظيم، على النفس، ومن الأمثال المضروبة في هذا الباب ما يلي :

أ- أمثال متعقلة بالمقارنة بين الله ماله من كمال، وبين المعبودات الأخرى وما فيها من نقص، كما في قوله تعالى : ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) قال مجاهد : " ضرب الله هذا المثل، والمثل الآخر بعده لنفسه، والآلهة التي تعبد من دونه "

ب- أمثال متعلقة بالمقارنة بين التوحيد و حُسنه، و الشرك و قبحه، كما في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ))، فالكلمة الطيبة هي التوحيد، و الخبيثة هي الشرك .

ج – أمثال متعلقة بالمقارنة بين الموحد وصلاح حاله ، و المشرك وفساد حاله كما قال تعالى : ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))، يقول الطبري : " مثّل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ

الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلا سلما لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد "

د – أمثلة متعلقة ببطلان عبادة آلهة المشركين و عجزها ، وذلك بذكر اتصاف تلك الآلهة بالنقائص، وفقدانها للكمال، كما قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))

٤– الاستدلال بالمثُلات التي حصلت للأقوام المشركة، وما حصل من التمكين و النصر للموحدين، وعاقبة كل منهما ، كما قال تعالى : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ)).

٥– قطع أصول الشرك و تبريرات المشركين ، كما قال تعالى : ((قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))

قال ابن القيم : " وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فقال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ} . فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده، فنفى – سبحانه– المراتب الأربع نفيا مرتبا منتقلا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة

والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل، ولم يعقبوا وارثا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن " انتهى .

رابعاً : ذكر أهمية التوحيد وفضائله ، فالقرآن جاء بذلك -كما تقدم - ، وهذا من الدعوة إلى التوحيد .

الأصل في بني آدم التوحيد، و الشرك طارئ

كان الناس في الأصل على التوحيد ثم طرأ الشرك، ولم يكن الناس على الشرك ابتداءً، و قد دل على ذلك أدلة منها:

١- قال تعالى : ((وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))، ووجه الدلالة : أن الله — تعالى — توعد على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، فدل ذلك أنهم كانوا قبل الوعيد على الحق متفقين، لأنهم لو كانوا على الكفر متفقين ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن هذا الاختلاف إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، فيكون الاختلاف محموداً لا يستحق الوعيد و الذم، والآية ذمت توعدت الاختلاف فدل أنه كان بعد الاجتماع على الحق . (أفاده الطبري)

٢- أدلة بدء الخلق، و ما جاء في شأن آدم عليه السلام و إيمانه .

٣- الآثار الواردة في حدوث الشرك بعد الاجتماع على التوحيد، كقول ابن عباس : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الشريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين " ، و غير ذلك من الآثار المروية عن بداية الشرك في قوم نوح .

وقد زعم بعض الغربيين وغيرهم ، أن الأصل هو الشرك، ولم يقيموا على ذلك دليلاً صحيحاً ، وكل ما يدل عليه ما صح من دراساتهم أن الشرك قديم، لا أنهم سابق للتوحيد .

مفهوم العبادة

لغة : هي الذل ، يُقال : طريق معبدة ، أي : مذللة .

شرعاً : تعرف باعتبارين:

١- تعريفها باعتبار(التعبد) :

أ — (طاعة الله فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه و زجر).

ب-(كمال الحب مع كمال الذل)

٢- تعريفها باعتبار (المتعبد به) :

أ — (ما أمر به الشارع من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي) .

ب- (اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه ، من الأقوال أو الأعمال الظاهرة أو الباطنة)

ـ يلاحظ أن العبادة في الشرع زادت عن معناها اللغوي (بانضمام كمال الحب) لكمال الذل .

أركان العبادة

تقوم العبادة على ثلاثة أركان هي :

١- المحبة ، وهي إذا صحت تفرع عنها العمل، قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

٢- الرجاء ، وهو الاستبشار بوجود الله و مطالعة كرمه وفضله و الثقة به .

٣- الخوف ، و الخوف إذا لم يكن مع الرجاء أدى إلى القنوط، و إن كان الرجاء بدونه أدى إلى الأمن من مكر الله، فلزم اجتماعهما ، قال تعالى : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ))

إن المحبة و الخوف و الرجاء هي محركات القلوب، و لا تكون العبودية إلا بها، و المحبة هي الأصل وهي المقصودة التي تراد لذاتها، و الخوف و الرجاء يستلزمان المحبة ويرجعان إليها، و لا بد من هذه الثلاثة جميعاً لتحقيق معنى العبودية؛ فإن الخوف إن لم يقترن بالرجاء كان قنوطاً، و الرجاء إن لم يقترن بالخوف كان أمناً، و كلاً من الخوف و الرجاء يرجعان للمحبة؛ فالخائف يفر لينال المحبوب، و الراجي يرجو من يحب ما يحب ويأمله منه .

أنواع العبادة

أ – أنواع العبادة من حيث العموم و الخصوص نوعان :

١- عبودية عامة ، و هي عبودية الملك و القهر و الذل، و اعتبر فيها معنى (التعبيد) ، وهي ثابتة لجميع الخلق، فجميع الخلق مذللون لله تعالى ، تحت قهره، نافذ فيهم أمره، وهي قهرية لا اختيارية ، كقوله تعالى : ((إن كل من في السموات و الأرض إلا آتِ الرحمن عبداً))

٢- عبودية خاصة ، هي عبودية الطاعة و المحبة، و اعتبر فيها معنى (العابد) ، وهي اختيارية لا قهرية، لا يقوم بها إلا من اختار النجاة بتوفيق الله ، وهي مناط المدح و الذم، و هي التي أمر الله بها ، كقوله تعالى : ((اعبدوا الله ربي و ربكم)) ، وقال : ((و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً))

ب- أنواع العبادة باعتبار محلها و أصلها و تعلقها :

١- عبادة قلبية ، وتشمل اعتقادات القلب و أعماله ، كالإخلاص و التوكل و الحب و غير ذلك ، وهي من أهم أعمال الإنسان ، وبصلاحها يصلح حاله ، و إذا كانت

كامله كثّرت العمل القليل ، فكم من مصلي ركعتين أفضل ممن صلى عشرين ركعة، لأنه و قر في قلبه من الخشوع و الخشية والمحبة مالم يقر في قلب الآخر .

٢- عبادة قولية ، و أجلّها النطق بالشهادة ، و يدخل فيها الذكر وغيره .

٣- عبادة بدنية فعلية ، و تشمل أعمال الجوارح ، كالصلاة و الحج و الجهاد .

٤- عبادة مالية ، تتعلق بالمال ، كالزكاة .

شروط صحة العبادة

١- الإخلاص ، قال تعالى ((لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ))

٢- المتابعة للرسول ﷺ ، قال ﷺ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " .

و قد ذكرهما الله تعالى في قوله : ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))، و قد جاء عن الفضيل بن عياض قوله في قوله تعالى : ((ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)) : " قال : أخلصه أصوبه ، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، و إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً، و الخالص إذا كان لله، و الصواب إذا كان على السنة "

معنى (لا إله إلا الله)

معناها : لا معبود بحق إلا الله

فالإله في اللغة هو المعبود ، فالشهادة نفت أن يكون هناك معبود بحق إلا الله، قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) ثم فسرتها الآية الثانية فقال تعالى : ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ))، و قد قال النبي ﷺ : " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ..." وفي رواية : " بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله ..." وفي رواية : " بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله و يكفر بما دونه ..." فالروايات تفسر بعضها .

فالمفهوم اللغوي للإله و تفسير الأدلة لبعضها ، يدل على أن معنى لا إله إلا الله (لا معبود بحق إلا الله) كذا فعل النبي ﷺ و الأنبياء من قبله ، فإنهم خالفوا قومهم في عبادة غير الله، ودعوهم لعبادته وحده، لذا من أقر بالربوبية دون الإلهية لم يُعصم دمه، ولا يعد مسلما إجماعاً ، فدل على أن هذه الشهادة التي تحصل بها العصمة والنجاة بالمعنى المذكور .

لذا وقعت تفسيرات خاطئة لهذه الكلمة، تولد منها زلل عند بعضهم ، منها :

١- لا معبود إلا الله ، أو لا معبود موجود إلا الله ، وهذا تفسير خاطئ، لأن هناك معبودات باطلة تعبد من دون الله، قال تعالى ((و اتخذوا من دون الله آلهة)) ، و الواقع يشهد على أن هناك من يعبد غير الله ، لذا كان النزاع في الألوهية الحقة بين المؤمنين و المشركين ، قال تعالى : ((ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه هو الباطل)) و بعض من يقول : ((لا إله موجود إلا الله)) يقصد القول بوحدة الوجود و أن كل الموجودات شيء واحد، وهذا قول كفري بالاتفاق ، بل هو أشد من كفر النصارى و اليهود .

٢- لا قادر إلا الله و لا خالق إلا الله ، وهذا جزء من معنى لا إله إلا الله وليس كله، لأن من أقر بذلك ولم يخلص العبادة لله لم يكن مسلما ، أما الإقرار بالعبادة فهو متضمن للإقرار بالربوبية.

٣- لا حاكم إلا الله ، وهذا كذلك جزء من معنى لا إله إلا الله وليس كله، لأن العبادة أعم. وهناك تفسيرات أخرى ، كلها ناقصة أو فاسدة .

أركان (لا إله إلا الله)

١- النفي ، أي نفي كل معبود سوى الله تعالى ، وهو المذكور في لفظة (لا إله)
٢- الإثبات ، أي إثبات الألوهية لله و صرها له سبحانه ، وهو المذكور في لفظة (إلا الله)

شروط (لا إله إلا الله)

استقرأ أهل العلم شروط تحقيق شهادة التوحيد ، و جمعها الحافظ الحكم بقوله :

العلـــمُ واليقـــينُ والقبـــولُ والانقيادُ فـــادرِ مـــا أقـــولُ
الصـــدقُ والإخـــلاصُ والمحبـــةْ وفقـــك الله لمـــا أحبـــه

١- العلم ، أي بمعناها نفياً و إثباتاً ، قال تعالى : ((فاعلم أنه لا إله إلا الله))

٢- اليقين ، فلا يدخل إيمانه بها الشك والريب و التردد ، فلا يحتمل إيمانه ما يناقضه، قال تعالى : ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا))

٣- الإخلاص، و ذلك بأن يكون قالها لوجه الله لا خوفاً ولا من رياء، قال تعالى : ((و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء))

٤- الصدق، فلا يخالف ظاهره باطنه، ولا يقولها تقية و نفاقاً، بل يصدق معناها بقلبه وبلسانه وبجوارحه، قال ﷺ : " من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة " .

٥- المحبة ، إذ هي أصل العبودية ، فلا تتم إلا بها ، فلا بد أن يكون محباً لله تعالى ولرسوله ، قال تعالى : ((و الذين آمنوا أشد حبا لله))، ويلزم من المحبة بغض ما يناقض المحبوب، فيبغض الشرك وأهله، قال ﷺ: " أوثق عرى الإيمان الحب في الله، و البغض في الله "

٦- الانقياد ، بأن ينقاد لما دلت عليه ، ويكون مستسلماً لله تعالى ، قال تعالى : ((و من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى))

٧- القبول ، فينصاع بقلبه متذللا منكسرا لله ، خاضعا لما جاء به الشرع، لا متكبرا ولا رادا له ، قال تعالى : ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))

مسألة : ما الفرق بين الانقياد و القبول ؟

قال بعض أهل العلم ، الانقياد عمل الظاهر فهو فعل جوارح، و القبول متعلق بالباطن فهو فعل القلب .

نواقض (لا إله إلا الله)

النقض لغة : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء .

ونواقض التوحيد اصطلاحاً : اعتقادات و أقوال و أعمال إذا دخلت على التوحيد تزيله أو تفسده، وترجع نواقض التوحيد إلى :

١- نقضه بالقول ، كأن يتكلم بالكفر غير مكره .

٢- نقضه بالفعل، كالسحر و الذبح أو الصلاة و السجود لغير الله، أوترك ما لا يكون التوحيد إلا بفعله فالترك فعل ٣- نقضه بالاعتقاد ، كاعتقاد الشريك لله .

٤- نقضه بالشك ، وهو أن يتردد في اعتقاد التوحيد .

- الكلام في النواقض فرع عن الكلام في المنقوض (معنى الشهادة وحقيقة الإيمان) ؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا تقرر هذا عُلم أن القول في معنى الشهادة و الإيمان مؤثر في تقرير النواقض، فدراسة النواقض لا تكون إلا بعد أن يتقرر معنى التوحيد .
- التكفير مرده للشرع ، و لا مدخل لجهة غير الشرع فيه، وهو حق لله، فلا نكفر إلا من كفره الله سبحانه .

- النظر في حكم التكفير يكون إلى أمرين :

١- حكم المسألة (القول أو الفعل أو الاعتقاد)

٢- تنزيل الحكم على المعين ، وهذا لا بد من توافر شروط معينة و زوال موانع حتى ينزل الحكم .

– الأصل في أحوال المسلمين السلامة، ومن ثبت إسلامه كان هو الأصل، فلا يترك إلا بعد التأكد من وجود الناقض

– النواقض العشرة التي سيذكرها الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب ليست شاملة لكل النواقض ، و ذكر أهل العلم أنه اختارها لأسباب منها :

١– كثرة وقوعها و انتشارها في زمانه .

٢– إجماع العلماء عليها .

٣– قيل : أن جميع النواقض ترجع إليها أو هي من جنسها .

متن نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

(الأول) : الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وقال: ((إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) ؛ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

(الثاني) : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر إجماعا.

(الثالث) : من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

(الرابع) : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

(الخامس) : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كفر.

(السادس) : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

(السابع) : السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر. والدليل قوله تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}.

(الثامن) : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

(التاسع) : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحَمَّد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر.

(العاشر) : الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه مُحَمَّد و آله وصحبه وسلم.

ما يضاد توحيد الإلهية من الشرك الأكبر

الشرك الأكبر في الإلهية هو : صرف العبادة لغير الله ، أو اعتقاد استحقاق غيره لها .

ومن صوره :

١- اعتقاد شريك يستحق العبادة غير الله .

٢- شرك الطاعة، كأن يطيع أحداً في تحليل ما حرم الله ، فيقول للحرام هذا حلال، قال تعالى : ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله))

٣- شرك الإرادة و القصد ، كأن يدخل الإسلام لإرادة الدنيا، وهو النفاق ، قال تعالى : ((من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخر إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون))

٤- صرف العبادة لغير الله ، فيدخل في ذلك :

أ – الشرك في المسألة ، و ذلك بدعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو دعاء الميت و الغائب، أو أن يجعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء وشفعاء ، وهو فعل المشركين كما أخبر الله تعالى : ((ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)) ، وقد قال ﷺ : " الدعاء هو العبادة " فمن دعا ميتاً أو غائباً لا يستطيع سماعه أو دعا مخلوقا فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقع في الشرك الأكبر وصار مشركا، و إن و زعم أنه يتخذهم شفعاء .

ب – الشرك في العبادة ، فكل من صرف عبادة قولية - كالشهادة بالألوهية – أو فعليه –كذبح التقرب و النذر– أو قلبية –كمحبة العبودية و خوف العبودية و التوكل – لغير الله فهو مشرك .

– فالذابح لغير الله تقرباً و تعظيما وخضوعاً ، فهو مشرك تحرم ذبيحته ، قال تعالى : ((قل إن صلاتي و نسكي ومحياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت و أنا أول المسلمين)) وقال : ((فصل لربك و انحر)) وفي الحديث : " لعن الله من ذبح لغير الله". – و النذر : أن يلزم المكلف نفسه ما لم يلزمه الشرع ، عن طريق صرف لله ، كأن يقول : لله علي نذر أن أصلي ٤٠ ركعة ، و النذر عبادة ، قال تعالى : ((و ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه)) ، فصرفها لغير الله كأن يبدل قوله : لله علي نذر ، بقول : للمسيح علي نذر = شرك أكبر .

الشرك الأصغر

هو : كل ما جعله الشرع شركاً ، و لكنه لم يصل إلى الشرك الأكبر فلا يخرج من الملة .

حكمه : هو شرك ينافي كمال التوحيد، و معصية من أكبر المعاصي ، و لكنه لا يخرج صاحبه من الملة .

من أمثله :

١- الرياء ، الذي لا يصل إلى درجة النفاق الأكبر ، ففي الحديث : " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : الرياء "

٢- الحلف بغير الله و غيره من شرك الألفاظ ، إذا لم يقترن بذلك تعظيم ذلك الغير تعظيم ألوهية ، فهنا يصل للشرك الأكبر . لحديث : " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " فمثلا من قال : (و النبي) ولم يقصد تعظيمه كتعظيم الله ، فهو شرك أصغر .

٣- التطير ، إذا اعتقد أنه سبب ، و ((جعل ما ليس بسبب سببا بغير طريقة معتبرة شرك أصغر ، أما جعل الشيء فاعلا من دون الله فهو شرك أكبر)) .

يُميّز الشرك الأصغر عن الأكبر بأمور منها :

١- النص على ذلك ، كما جاء في الحديث : " أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : الرياء "

٢- التنكير ، بأن يُذكر منكّراً بلا ألف، كحديث : " إن الرقى و التمائم و التولة شرك "

٣- بقول الصحابي ، كقول ابن مسعود في التطير : " و ما منا و إلا و لكن الله يذهبه بالتوكل"

٤- ما دلت الأدلة و القرائن بأنه لا يخرج من الملة فهو أصغر .

الفرق بين الشرك الأكبر و الأصغر:

	الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
١	مخرج من الملة	لا يخرج من الملة
٢	لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة	في إلحاقه ببقية المعاصي التي قد يُغفر لصاحبها بلا توبة خلاف، فقيل : لا يغفر ، وقيل : قد يغفر .

٣	محبط لجيمع الأعمال	لا يحبط إلا العمل الذي قارنه
٤	صاحبه مخلد في النار	لا يخلد صاحبه في النار
٥	يُحلّ النفس و الأموال ويقطع أصل الموالاة	لايحل النفس والمال و لايقطع أصل الموالاة بل ينقصها

أبرز شبهات المخالفين في توحيد الإلهية و الرد عليها

الشبهة الأولى : الاحتجاج بفعل الآباء ، فيقول المشرك : هذا ما كان عليه الناس، وورثناه خلفا عن سلف .

الجواب : أن هذه حجة المشركين الأوائل التي أبطلها الله ، قال تعالى : ((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ))، وحجتهم هذه حجة فرعونية ، فقد قال فرعون لموسى لما دعاه للتوحيد : ((فما بال القرون الأولى)) وقال قوم صالح لصالح : ((أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباءنا)) .

الشبهة الثانية : قولهم : أن من قال (لا إله إلا الله) فلا يجوز تكفيره و إن دعا غير الله وذبح له .

الجواب : تقدم أن من شروط لا إله إلا الله الانقياد و القبول و الإخلاص، فلا بد من العلم بمعناها و العمل بمقتضاها- كما تقدمت أدلة تلك الشروط - ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا و كفر بما يعبد من دون الله حرم ماله و دمه " وهؤلاء لم يكفروا بما يعبد من دون الله ، لذا أجمع أهل العلم على كفر المنافق الناطق للشهادة بفمه معتقدا خلافها، و أجمع الصحابة على كفر أهل الردة و حرب أبي بكر لهم مع أنهم كانوا

يقولون لا إله إلا الله، و أجمعت الأمة على كفر من سب الله و رسوله و إن كان يقول لا إله إلا الله .

الشبهة الثالثة: قولهم: ندعو الأولياء ولا نعتقد فيهم الربوبية، بل نريد أن يشفعوا لنا عند الله، لأنهم أهل صلاح

الجواب: أن هذا هو عين شرك المشركين الأوائل الذين كفرهم الله تعالى ، فهم زعموا أنهم يشركون للشفاعة ، و هم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ، قال تعالى : ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) ، ولكنهم برروا شركهم بإرادة الشفاعة ، قال تعالى : ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)) وقال عن المشركين : ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) .

و الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله و رضاه قال تعالى : ((وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)) و الله لا يرضى الكفر، فلا شفاعة مع الشرك، لذا الشفاعة لا تطلب من الموتى بل من الله ، قال تعالى: ((قل لله الشفاعة جميعا)) .

الشبهة الرابعة : ظنهم (١)أن الشرك مخصوص بعبادة الأوثان بخلاف دعاء الصالحين من دون .

الجواب: أن الله أخبر أن هناك من أشرك بعبادة الصالحين، فقال : ((و إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ)) ، و قال ﷺ: " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، قد جاء أن اللات و كان رجل يلت

السويق للحجاج فغلوا فيه حتى عبدوه ، وكذا جاء عن ابن عباس أن قوم نوح كان شركهم في الغلو بالصالحين، فمن عبد غير الله صالحا كان أو لا فهو مشرك .

الشبهة الخامسة : زعمهم أن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ليس عبادة لهم ، و ليس شركا، بل هو استشفاع و طلب وسيلة .

الجواب : أن الدعاء عبادة من أعظم العبادة ، قال ﷺ : " الدعاء هو العبادة " ، و سمى الله تعالى الدعاء عبادة فقال : ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))، فدلت الأدلة الصريحة أن دعاء المشركين للأولياء من العبادة ، وكل من عبد غير الله تعالى فهو مشرك، لذا أمر الله تعالى بإخلاص الدعاء له فقال : ((و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً))، و قال في وصف المؤمنين((و الذين لا يدعون مع الله إلها آخر))

الشبهة السادسة : زعمهم أن هذه الأمة لا يقع فيها الشرك ، و استدلوا بقول النبي ﷺ : " إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، و لكن في التحريش بينهم "

الجواب : ١- أن النبي ﷺ أخبر بوقوع الشرك في هذه الأمة فقال: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة " و كانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة ، وقال : " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين فتعبد الأوثان " ، و الوثن اسم جامع لكل ما يعبد من دون الله وليس خاصا بالأصنام ، لذا قال النبي ﷺ : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد " و قد أجمع الصحابة على وقوع الردة في جزيرة العرب وقامت حروب الردة ، ولم يقولوا أن الردة لا تقع في هذه الأمة ! . وقد أشرك أهل الكتاب و النبي – ﷺ – أخبر أن كثير من هذه الأمة سيتبع سننهم .

٢- استدلالهم بالحديث على عدم وقوع الردة باطل من وجوه منها :

أ – ما تقدم من إخبار النبي – ﷺ – من وقوعها، ومن فعل الصحابة في حروب الردة .

ب- أن المراد الإخبار عن ظن الشيطان وقت عز الإسلام، ولا يلزم أن يكون ظن الشيطان صحيحاً ، فلا يعلم الغيب إلا الله ، ويحتمل أن يكون المراد هو إياسه من إطباق الأمة على الشرك .

الشبهة السابعة : ظنهم أن الشرك لا يكون إلا في الربوبية ، فمن عبد غير الله تعالى دون أن يعتقد فيه الربوبية فليس مشركا .

الجواب : أن الكفر و الشرك أنواع ، إذا وقع المكلف في واحدة منها كان مشركا كافراً ، ولو لم يقع في الأخرى ، ألا ترى أن من سب النبي ﷺ يصبح كافرا ولو لم يعتقد فيه الربوبية ، و كذلك الشرك في العبادة يخرج صاحبه من الملة، ولو لم يعتقد ربوبية من عبد، و قد تقدم أن معنى لا إله إلا الله هو : لا معبود بحق إلا الله ، فمن ترك مقتضاها كان تاركا للتوحيد .

و تقدم معك أن الله بعث الرسل لتوحيد العبادة ، و أن المشركين الأولين كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق و لكنهم عبدوا الصالحين بزعم أنهم يشفعون لهم عند الله ، لا أنهم اعتقدوا أنهم يخلقون من دون الله ويرزقون من دون الله، وقد جاء عن ابن عباس تفسير قوله تعالى : ((وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)) قوله : " من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السماء؟ من خلق الأرض ؟ من خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون " وعن عكرمة قال : " تسألهم من خلقهم؟ و من خلق السموات و الأرض؟ فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره " وجاء نحوه عن غيرهم من السلف كمجاهد ، فإقرارهم بالربوبية لله لم ينفعهم لـمّا عبدوا غيره ، فلا فرق بين الربوبية و الألوهية ، فكلها من خصائص الله ، فمن عبد غير الله كان مشركا، كمن تعتقد أن غير الله يخلق، إذ الشرك أن تجعل ما لا يكون إلا لله لغيره، فمن عبد غير الله كان كذلك .

الشبهة الثامنة : قولهم : أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون الشهادتين، و يكذبون الرسول ولا يقرون بالبعث، و يكذبون القران ، و نحن بخلاف ذلك .

الجواب : أن الإجماع منعقد أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول فهو كافر ، قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا))، ألا ترى أن من استهزأ بالنبي ﷺ يكفر ولو كان قصده اللعب و لو كان يشهد بالشهادتين وغيرها من أمور الإسلام ، و أن من زعم أن الزنا حلال كفر ، و من أنكر وجوب الصلاة كفر ، ولو كان يشهد الشهادتين ويؤمن بالبعث وغيرها ، و أن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة من أهل الردة مع أنهم كانوا يشهدون بالشهادتين و البعث و غيرها ، و لكن لما منعوا الزكاة وقاتلوا عليها كفروا ، فكيف بمن ترك معنى لا إله إلا الله و العمل به وهو أعظم الفرائض ؟! .

ألا ترى أن المرء قد يكفر بكلمة بعد إسلامه مع أنه يشهد بالشهادتين و يصلي وغير ذلك ، كما قال تعالى : ((و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم))و قال عن الذين استهزأوا بالدين ((لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)) مع أنهم زعموا أنهم كانوا يلعبون فقط ، فالشرك أعظم النواهي من فعله خرج من الملة، سواء نطق بالشهادتين و أقر بالعبث و النبوة أم لا .

كما أن من فعل الشرك لم يكن محققا للشهادتين ، و إن نطقها بلسانه ، فهو نطق شيئا يخالفه وهذا لا ينفعه ، كالمنافق .

الشبهة التاسعة : قالوا قد دلت الأدلة على جواز الاستغاثة بالصالحين والاستشفاع بهم، كما في حديث الشفاعة العظمى أنهم يستشفعون بالأنبياء .

الجواب : أنه لا خلاف في جواز الاستغاثة بالحي القادر ، و كذا طلب الشفاعة من الصالح الحي كأن تقول : ادع الله لي ، وهو حي حاضر يسمعك ، هذا جائز ، وكلامنا ليس عنه ، فإن هذا من طلب المخلوق ما يقدر عليه كما قال تعالى عن موسى : ((فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه)) .

و إنما الشرك هو أن تدعو دعاء عبادة لغير الله ، كأن تدعو غائبا عاجزا من المخلوقات ، أو تدعو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فإن الناس يستشفعون بالأنبياء يوم القيامة بطلبهم أن يدعو الله أن يزيل الشدة ، لا أنهم يدعونهم من دون الله في إزالة الشدة ، و كذا الصحابة لم يطلبوا من النبي لـمّا كان حيا إلا الدعاء لهم أو ما يقدر هو عليه مع توكلهم على الله ، أما طلب ما لا يقدر عليه إلا الله فشرك ، كذا دعاء الموتى و الغائبين ، و لما مات النبي ﷺ ، و قام الصحابة للاستسقاء في عهد عمر ، قدّم عمر العباس – رضي الله عنهم – ليدعو الله لهم، وقال : " اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا ، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قم يا عباس فادع الله " فانظر إلى الصحابة لم يتوسلوا بدعاء النبي بعد موته، بل طلبوا من العباس و كان حيا أن يدعو لهم ، وهذا توسل مشروع.

السحر

تعريفه :

لغة : (ما خفي و لطف سببه) ، فما خفي سببه سُمّي سحراً ، فيدخل في اسم السحر أمور كثيرة ، للطافة مداركها و لأن آثارها تشبه آثار السحر ، من ذلك :

١- الشعبذة، وهي التي تقع بخدع و تخييلات تعتمد على خفة اليد ونحوها، وهي محرمة لكنها لا تأخذ حكم السحر الذي يستعان فيه بالشياطين .

٢- السحر المجازي، وهو الذي يستعمل عن طريق أدوية وعقاقير تشبه السحر في آثاره و تأثيره، فهذا يحكم على صاحبه بحسب إفساده وعدوانه.

٣- النميمة ، قال ﷺ : " ألا أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة" و العضة : السحر –كما جاء عن عكرمة – ، فجُعلت النميمة سحراً لأنها تفسد كما يفسد السحر ، ويخفى سببها إفسادها على المفسد عليه .

٤- بعض البيان، لقوله ﷺ : " إن من البيان لسحراً " ، و ذلك لأن البيان له تأثير في النفوس.

تعريفه الاصطلاحي : تعددت عبارات العلماء في تعريفه و تباينت تباينا شديداً، و السبب ما ذكره الشنقيطي في قوله : " لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، و لا يتحقق قدر مشترك بينهما يكون جامعا مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدّه اختلافاً متباينا "

و من أشهر تعريفاته أنه : " عزائم و رقى وكلام يتكلم به و أدوية و تدخينات ، و له حقيقة ، و منه مايؤثر في القلوب و الأبدان، فيُمرض و يقتل ويفرق بين المرء و زوجه بإذن الله القدري".

و قيل هو : " علم خفي، تزاوله النفوس الخبيثة، إما بقصد التخييل على الشيء، أو بقصد الإضرار به، و يستعان في هذا الإضرار بالتقرب للشياطين بارتكاب الشرك و القبائح قولا وعملا واعتقاداً، فينتج عن ذلك أثر حقيقي على المسحور بدون إرادته ، بإذن الله القدري"

مسألة : هل للسحر حقيقة ؟

الجواب : نعم ، ومن أدلة ذلك قوله تعالى : ((فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)) ، فالسحر يحصل منه ضرر حقيقي بإذن الله القدري ، وهذا خلاف ما يحكى عن أبي حنيفة وابن حزم و المعتزلة الذين نفوا أن يكون للسحر حقيقة ، وقالوا : هو تخييل و تمويه ، والحق أن السحر منه ما له حقيقة و منه ما هو من التخييل .

أنواع السحر

مما تقد يتبين أن السحر نوعان :

١- حقيقي ، وهو ما يؤثر تأثيرا حقيقياً فيُمرض و يقتل و يفرق بين المرء و زوجه .
٢- تخييلي ، و هو التمويه و التخييل ، بحيث يظهر للمسحور الشيء على غير حقيقته .

و يدخل في النوعين السابقين : (الصرف) وهو سحر يؤدي إلى التفريق بين المتحابين .

و (العطف) وهو سحر يؤدي إلى التقريب و التحبيب، و هو (التِوَلَة) المذكور في حديث : " إن الرقى و التمائم و التولة شرك " .

حكم الساحر

أجمع العلماء على تحريم السحر، و لكن هل يكفر الساحر؟

من العلماء من قال : يكفر مطلقاً ، و منهم من قال : إذا كان سحره عن طريق عبادة الشياطين و التقرب للكواكب، فهو كفر، و إلا فلا يكفر إلا إن اعتقد إباحته، وكذا تعلم السحر، و هذا ظاهر قول الشافعي حيث قال : " إذا تعلم السحر قيل له : صف لنا سحرك، فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب و أنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، و إن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد بإباحته فهو كافر و إلا فلا "

و قال القحطاني في نونيته :

و السحر كفر فعله لا علمه من ها هنا يتميز الحكمان

وذهب بعض أهل العلم أن السحر لا يكون تعلمه و فعله إلا عن طريق الشرك ، فكله كفر.

والحاصل : أن فعل السحر الذي عن طريق التقرب بالشياطين كفر بالاتفاق ، واعتقاد حل السحر كفر كذلك بالاتفاق ، و بعض العلماء قال أن هناك أنواع من السحر لا يكون عن طريق التقرب فلا يكفر فاعلها إن اعتقد حرمتها ، ومن العماء من قال لا يكون السحر و تعلمه إلا بالشرك فكله شرك .

و السحر الكفري شرك أكبر من جهتين :

١- من جهة الألوهية بالاستعانة بالشياطين و الكواكب وصرف العبادة لهم .

٢- من جهة الربوبية بادعاء التأثير و معرفة علم الغيب .

و من أدلة ذلك قوله تعالى : ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)) ، فدلت الآية على كفر فاعله و متعلمه .

عقوبة الساحر

عقوبة الساحر : أن يُقتل بالسيف ، قال أحمد : " عن ثلاثة من أصحاب رسول الله – ﷺ – " و عن جندب يرفعه : " حد الساحر ضربة بالسيف "، وعن عمر :" اقتلوا كل ساحر وساحرة " قال بجالة بن عبدة: فقتلنا ثلاثة سواحر "، وعن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت(رضي الله عن صحابة نبيه أجمعين) .

مسألة : هل يُستتاب أم لا ؟

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ظاهره – أي الأدلة – أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك ، لأن علم السحر لا يزول بالتوبة، و عن أحمد : يستتاب فإن تاب قبلت توبته، وبه قال الشافعي، لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، و المشرك يستتاب وتقبل توبته، و لذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم"

فائدة : المشعبذ يُعزر لا يقتل ، قال البهوتي : " و يعزر ... ممن يعمل الشعبذة و نحوها " .

النُشرة

تعريفها : ضرب من الرقية و العلاج يعالج به من كان يُظن أن به مسا من الجن، سُمّيت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي: يُكشف و يُزال ، والمراد بها هنا : (حل السحر عن المسحور) .

أقسامها و أحكامها : النشرة نوعان :

١- ممنوعة ، وهي حل السحر بما حرم الله ، كحل السحر بمثله ، و هذا محرم وقد تصل للشرك إن كان فيها تقرب لغير الله ونحوه ، لما روي عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة فقال : " هي من عمل الشيطان " ، وقال " لا تداووا بحرام" وقال: " ما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها " .

٢- مباحة أو مشروعة ، كحل السحر بالرقية و التعويذات و الأدعية الشرعية، و بالأدوية المباحة ، فهذا جائز و مشروع ، فقد رقى النبي – ﷺ – نفسه و أهل بيته ، و أنزلت المعوذتين للرقية من سحر لبيد، و أوصى النبي ﷺ بالتداوي ، و وصف عدة أدوية كالعجوة و العسل و غيرها .

ادعاء علم الغيب وبعض صوره :

ادعاء علم الغيب كفر مخرج من الملة ، لأنه تكذيب لقوله تعالى : ((قل لا يعلم من في السموات و الأرض الغيب إلا الله)) ، حتى رسول الله ﷺ لم يدعه، قال تعالى : ((قل لا أقول لكم عندي خزائن الله و لا أعلم الغيب)) ، و الله قد يطلع بعض خلقه على بعض ما يغيب عن بقية الخلق، فيكون غيبا نسبياً ، و يكون معرفة هذا المخلوق بهذا الغيب بإظهار الله تعالى له هذا الغيب، لا أنه عرفه ابتداء .

و من صور ادعاء علم الغيب ما يلي :

أولا : التنجيم

التنجيم **لغة** : طلب العلم بالنجوم.

و**شرعا** : الاستدلال بالنجم .

-[الحكمة من خلق النجوم]

خلق الله النجوم لحِكم كثيرة ، أخبر الله عنها ، و منها :

(١)- أنها علامات لمعرفة الجهات، و يهتدي بها المسافر إلى البلدان، قال تعالى : ((وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ))

(٢)- أنها تُزيّن السماء الدنيا

(٣)-أنها رجوم للشياطين المسترقين للسمع بعد البعثة النبوية، قال تعالى ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ))

أقسام التنجيم و أحكامه :

١- **علم التأثير** : وهو ((الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية)) ، بأن يجعل الأبراج و النجوم سببا لما ليست سببا له ، أو مؤثرة من دون الله ، كأن يقول إذا جاء نجم كذا وولد مولود فهو سعيد ، أو ينظر للنجوم ويقول سيحدث كذا أو كذا ، ولا دليل عنده معتبر.

حكمه : إن اعتقد أنها أسبابا بلا دليل معتبر ، فهو مشرك شركا أصغر، و إن ظن أنها فاعلة من دون الله تعالى ، فهو شرك أكبر ، وهذا بداية شرك قوم إبراهيم فإنه كانوا يزعمون تأثير الكواكب و أنها تؤثر من دون الله ويتقربون لها، وكذا بعض الفلاسفة الذين زعموا أن فلك القمر أو الفلك التاسع هو المؤثر في الحوادث السفلية .

و **الدليل** : قوله ﷺ : " من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد "

ملاحظة : إذا دل الدليل على أن الكوكب سبب وكان دليلا معتبراً ، كتسبب القمر بالمد و الجزر ونحوه، فلا يعد شركا ، كما ذكر ذلك ابن تيمية وغيره، و كذا العلامات الشرعية التي تتعلق بالكواكب كأن يرى انتفاخ الأهلة فيستدل على ذلك بأنه في آخر الزمان ، فإن هذا دليل معتبر لورود الأثر بذلك ، و كذا طلوع الشمس من مغربها، و الخسوف و الكسوف ،فإن هذا كله من العلامات الثابتة بدليل معتبر .

٢- **علم التسيير** : وهو ((الاستدلال بها على الجهات و البلدان و الأزمان و نحو ذلك)) ، كحساب التقاويم، و معرفة بروج الشتاء و الصيف ، و أوقات التلقيح، والتأبير ، و الأمطار ...

حكمه : جائز لا محظور فيه ، بل قد يجب أحيانا، كفعله لمعرفة أوقات الصلاة و جهة القبلة .

ملاحظة : الاستدلال بالنجوم لتوقع الأحوال جائز إذا دل الدليل المعتبر، لكن بشرط ألا تُنسب النعمة لتلك النجوم و الكواكب أو تجعل سببا وهو ليست كذلك، فهذا شرك أصغر، كذا لو نسب التأثير التام لها ، فشرك أكبر ، فقد جاء في الحديث : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ ... قال : أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، و أما من قال : مطرنا بنوء كذا و كذا ، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب "

ثانيا : الكهانة

هي : طلب العلم بالمستقبل و الإخبار عما في الضمير .

و الكنهة من الطواغيت عند العرب في الجاهلية ، فكانت تتصل بهم الشياطين، و يدّعون علم الغيبيات و يتحاكم العرب إليهم .

و الكاهن هو الذي يدعي أنه يعلم الغيب، وهو لفظ يطلق على العراف، والرمال، والذي يضرب بالحصى، والمنجم؛ فكل من أخبر عن المغيبات في المستقبل، هو كاهن، وكل من ادعى معرفة علم شيء من المغيبات، فهو إما داخل في اسم الكاهن، أو مشارك له في المعنى، فيلحق به.

و ما يتكلم به الكاهن فيقع كما أخبر فذلك سببه مسترق السمع من الشياطين الذي يلقي للكاهن ما استرقه ومعه تسعا وتسعين كذبة – كما جاء في الحديث – ، فصارت نسبة إصابته الحق في حقه واحد إلى مائة مما يدل على أن إصابة الحق عنده ضعيفة

جدا، بل بعيدة للغاية، وعندئذ فلا تكون إصابته لأنه عالم، بل لأنها وافقت ما في علم الله، وإلا فإنه رماها مع عدم علمه بأنها ستقع قطعاً .

وعلى هذا، فالكاهن في إخباره عما يقع في المستقبل، أو في الضمير كاذب في ادعاء علمه، وهو يستغل البسطاء من الناس، ويسلب أموالهم بغير حق، وهو ينشر أنواع الشعوذات فيهم، ويجعلهم أكثر قابلية للدجل، والشعوذة والإيمان بالخرافة.

ومن هنا حرمت الكهانة وما في معناها من العرافة وهي: الاستدلال على المسروق ببعض المقدمات، كأثر السارق، ورؤية محل السرقة، أو منديل السارق، أو نحو ذلك؛ لأنها من جنس الكهانة، وفيها ما فيها من معنى.

حكمها :

الكاهن كافر بالله (كفراً أكبر) لادعائه علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فهو مشرك .

وحكم من أتاه :

١-أن من أتاه مصدقاً أنه يعلم الغيب (كافراً كفراً أكبر)

٢- أما من لم يصدقه لكن حضر مكانه ليرى ما يفعله فقط، أو حضر ليعمل بما أشار به لدعوى أنه لا ضرر فيه، فإن أفاد حصل المطلوب، وإن لم يحصل فلا ضرر؛ فإنه (كافر كفراً أصغر) .

٣-أما من أتاه لينهاه عن المنكر أو يحذر منه أو يكشف كذبه و ضلاله ونحو ذلك وهو من أهل العلم، ففعله واجب **الدليل** : قال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد ﷺ)) رواه أبو داود. وفي رواية للأربعة: ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد ﷺ)) وعند مسلم: ((من أتى

عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً))

ولأحمد ﷺ فيمن أتى الكاهن فصدقه روايتان:

إحداهما: أنه كفر أصغر .

الثانية: التوقف مع تسميته كافراً كما سماه الرسول ﷺ، فالتوقف في الحكم لا في التسمية .

ويلتحق بالكاهن حكماً به الرمال، والضرب بالحصى، وقراءة الكف، والفنجان، وقراءة الحروف الأبجدية، وقراءة البروج، وقراءة الخطوط ونحو ذلك مما انتشر في هذا العصر من أنواع الكهانة .

التطير

تعريف التطير

لغة : أصله مأخوذ من الطير، لأنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير، فيعتمدها؛ فجاء الشرع بالنهي عن ذلك.

اصطلاحا : هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

بمرئي : مثل لو رأى طيرا يساره فتشاءم ، أو مسموع : مثل من هم بأمر فسمع رجلا يقول : خسارة ، فتشاءم ، أو معلوم : كالتشاؤم ببعض الأيام .

حكم التطير :

التطير ينافي التوحيد من وجوه، منها :

١- من جهة الإلهية بنقص التوكل على الله .

٢- من جهة الربوبية بأنه جعل ما ليس بسبب سبباً ، أو اعتقد تأثيره من دون الله .

و هذه المنافاة قد تكون منافاة لكمال التوحيد الواجب ، و قد يذهب معها التوحيد فتكون منافاة كلية، وذلك يختلف باختلاف حال المتطير ، فهو على حالين :

١- أن يعتقد أن لا يعتقد أن هذا الطير مؤثر من دون الله، بل يعتقد أنه سبب ونحوه، فهذا شرك أصغر .

٢- أن يعتقد أنه مؤثر من دون الله، فهذا فشرك أكبر .

الدليل : قال ﷺ : " لا عدوى ولا طيرة "، وقال : "لا طيرة، وخيرها الفأل". قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" ، وقال : " الطيرة شرك " .

مسألة : ما الفرق بين الطيرة و الفأل ؟

الجواب: الطيرة سوء ظن بالله عز وجل، وصرف شيء من حقوقه عز وجل لغيره، وتعلق للقلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر. والفأل حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، والرسول ﷺ "إنما كان يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به عز وجل، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال، ولا يعني التفاؤل أن يجعل ما ليس بسبب سببا، بل هو حسن ظن بالله و استبشار بفضله .

مسألة : ما ضابط الطيرة المنهي عنها ؟

الجواب: يقع المكلف في الطيرة المحرمة إن ردته عن الذي عزم عليه، أو إن بقي قلبه خائفاً قلقاً منها.

فالطيرة هي ما أنقصت التوكل، أو أمضتك أو ردتك ، كما في الحديث : " ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه؛ فلا يصدنكم " و في حديث آخر : " من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك "

أما إن وقع التشاؤم ابتداء ثم دفعه مباشرة، ومضى متوكلا على الله فلا إثم عليه، لما جاء في الحديث الموقوف : " الطيرة شرك، وما منا و إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل " و قول (وما منا و إلا ...) من مدرجات الصحابي .

مسألة : كفارة الطيرة و طرق صرفها .

إن وقعت الطيرة في القلب ، فكفارتها المبادرة بنفيها ، و التوكل على الله بأن يعلم أن الأمور كلها بيده سبحانه، و أن هذا التطير هو وسواس في النفس لا أثر له ، ثم يذكر ماورد في نفي التطير :

١- قال رسول الله ﷺ: "من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك"، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: "أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك" .

٢- قال صلى الله عليه و سلم : " فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك " .

من أمثلة التطير :

التشاؤم من بعض الأيام والشهور، و التطير بحركة العين: كأن يقال : إذا رفت اليسر فخير و إن رفت اليمنى فشر ، ولا خير و لا شر في هذا، التشاؤم ببعض الملابس ، أو جعل بعضها جالباً للحظ أو للتعاسة، ما يفعله أحدهم بالمصحف ، كأن يفتحه ثم ينظر لأول آية تقع عليها عينه، فيتطير ، كذا ما يفعله بعضهم بالأرقام أو الصور و نحوها .

الرقى

تعريفها :

لغة: جمع رقية، وهي العوذة. أو ما يعرف عند العامة بـ "العزيمة"، أو "التعويذة" التي يرقى بها صاحب الآفة -كالحمى والصرع، وتقرأ على المريض أو اللديغ أملا في شفائه.

الرقية اصطلاحا : عوذ و دعوات تُقرأ على المريض، أو في ماء، أو تُكتبت ثم تمحى بماء يُسقاه المريض .

أقسامها و أحكامها:

الأول : الرقية الشرعية : وهي الرقى التي تحققت فيها شروط الرقية .

- شروط الرقية الشرعية :

١- أن تكون بكلام الله تعالى و أسمائه وصفاته ، و الأولى الاقتصار على الأدعية المأثورة.

٢- أن تكون بالعربية ، أو بما يعرف معناه من غيرها .

٣- أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها ، و أن الشافي هو الله تعالى ، فلا يتعلق قلبه إلا بالله ، ولا يرجو الشفاء إلا منه .

الثاني : الرقية الممنوعة ، وهي التي فقدت شرطا من شروط الرؤية، وقد تكون محرمة وقد تكون شركية .

فكل رقية فيها دعاء غير الله فهي شركية ، كذا لا يجوز أن تكون بكلام غير مفهوم لأنها قد تكون سحرا أو شركا ، ولا يعلق المريض قلبه عليها بل يتوكل على الله .

الأدلة :

١-عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك".

٢- إقراره ﷺ لفريق من الصحابة فعلوا الرقية؛ كإقراره ﷺ للرهط الذين نزلوا بأحد أحياء العرب، فلدغ سيد الحي، فرقاه أحد الصحابة بسورة الفاتحة، وأخذ على ذلك جعلا، فقال ﷺ: "وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم، اقسموا، واضربوا لي بسهم" .

٣-فعله ﷺ الرقية بنفسه وبغيره؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات؛ فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها.

وعنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى، ويقول: "اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقما"

٤- أمره — ﷺ — بالرقية، فقد قال في جارية فو وجهها سفعة : "استرقوا لها، فإن بها النظرة" .

فائدة : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان ﷺ يرقي نفسه، وغيره، ولا يطلب من أحد أن يرقيه".

التمائم

تعريفها :

لغة: جمع تميمة، وهي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم لدفع العين بزعمهم، أو قطعة من الجلد ونحوه، يكتب عليها أدعية وأوراد، يعلقونها على مرضاهم، بغرض دفع شر متوقع، أو الشفاء من مرض حاصل وقع.

اصطلاحا : اسم جامع لكل ما يُعلّق لرفع البلاء أو دفعه أو لجلب منفعة .

أنواعها و أحكامها :

النوع الأول : محرمة بالاتفاق ، وهي كل تميمة لم تكن من القرآن، ولا من دعاء الله ، ولا بذكر أسمائه و صفاته .

وحكمها :

شرك ، و يختلف نوعه باختلاف الحال :

أ- فقد يصل إلى الشرك الأكبر إذا كانت:

١- دعاء غير الله ونحو ذلك من الشركيات أو ٢- اعتقد أنها تؤثر بذاتها من دون الله .

ب- و تكون من الشرك الأصغر إن لم يكن فيها شركا ، واعتقد أنها سبب لا أنها تؤثر من دون الله، كأن يعلق حديدة أو خرزة يظن أنها سبب .

الدليل : قوله ﷺ : " من تعلق تميمة فقد أشرك " وقوله : " من تعلّق شيئا وكل إليه " .

النوع الثاني : مختلف فيها ، وهي التي تكون من القرآن أو بأسماء الله وصفاته و دعائه .

فقد ذهب جمع من الصحابة – كعائشة و عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما – و بعض السلف: إلى جوازها، وجعلوها من الرقية، وذهب جمع آخر من الصحابة – كابن مسعود و ابن عباس رضي الله عنهما – والسلف : إلى المنع منها، تمسكاً بعموم النهي، و سداً للذريعة.

بعض صور التمائم المحرمة المعاصرة :

- وضع صورة أو ناب حيوان أو حجر أو سحبة على السيارة أو عند باب البيت لدفع الحسد.

- لبس الأساور و الملابس، لجلب الحظ أو دفع الأذى .

التوسل

تعريفه :

لغة : التقرب للشيء بالشيء .

اصطلاحاً : له اطلاقان ، عام و خاص .

العام : مطلق التقرب إلى المطلوب بما يحب .

الخاص : ذكر الداعي في دعائه ، ما يرجو أن يكون سببا في قبول دعائه، أو أن يطلب من غيره الدعاء له .

أقسامه و أحكامه :

الأول : التوسل المشروع ، وهو التقرب إلى الله بما يحبه و شرعه، و**دليله** : قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)) .

وهو أنواع، منها :

١- التوسل بالله عز وجل؛ بذاته المقدسة، أو بأسمائه الحسنى، أو صفاته العلى، أو أفعاله، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

٢- التوسل بالأعمال الصالحة. ودليل ذلك من كتاب الله، و من أدلته قوله تعالى: ((إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)) وما جاء في السنة: قصة النفر الثلاثة الذين توسلوا بأعمالهم الصالحة؛ من بر الوالدين، وترك الفواحش، وأداء الحقوق، وقال كل واحد منهم في آخر الدعاء: " اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه" فاستجاب الله عز وجل لهم .

٣- التوسل بطلب الدعاء من الصالح الحي الحاضر، ودليل ذلك قوله عز وجل حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام: {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ}، وكذا طلب عمر من العباس أن يدعو الله أن يسقيهم.

٤- التوسل إلى الله بذكر الداعي لحاله وضعفه ، و دليله ما أخبر الله تعالى عن عبده زكريا : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)) ، وقول أيوب عليه السلام : ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)).

الثاني : التوسل الممنوع

لـمّا كان الدعاء عبادة توقيفية لم يجز أن يُطلب قبوله بما لم يدل عليه الدليل، فلا ابتداع ، و كل تقرب إلى الله بما لم يشرع فهو بدعة ممنوعة ، فالتوسل إليه سبحانه بما لم يشرع من البدع، والتوسل الممنوع منه ما يصل للشرك الأكبر ومنه ما دون ذلك ، ومن أنواعه :

١- التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الشركية و البدعية، و بالمنكرات ، كالتوسل إلى الله بالدعاء عند قبر الولي، أو بالشرك الأكبر كدعاء الغائبين و الموتى .

٢- التوسل إلى الله بذات أو جاه نبي أو صالح أو حقه ، كأن يقول : اللهم بنبيك اغفر لي ، أو بحق نبيك ارزقني، أو بجاه نبيك اشفني ، فهذا توسل ممنوع ، للأمور التالية :

أ- أنه لا دليل على ذلك، و الصحابة و السلف لم يفعلوا ذلك ، فلم يتوسلوا بذات النبي ﷺ، و من باب أولى غيره من الصالحين، بل جاء عن الصحابة ما هو خلاف ذلك ، ففي عهد عمر ، قدّم عمر العباس – رضي الله عنهم – ليدعو الله لهم، وقال : " اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا ، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قم يا عباس فادع الله " ، فدل كلامه أنهم ما توسلوا بالنبي ﷺ إلا التوسل المشروع في حياته، لا الممنوع بعد وفاته، فدل ذلك على أن هذا الفعل لا دليل عليه وهو خلاف فعل السلف. .

ب- أن قرب الأنبياء و الصالحين إلى الله لا ينفع غيرهم إلا باتباع أثرهم ، لذا قال النبي ﷺ لابنته فاطمة : " لا أغني عنك من الله شيئا " وقال تعالى : ((و أن ليس للإنسان إلا ما سعى)) :

ج- أنه لا مناسبة بين ذات النبي و الصالح وجاههما و بين استجابة دعاء الداعي، فكأن الداعي يقول : اللهم لأن عبد فلان صالح ويعبدك فاغفر لي أنا !! ، فأي علاقة بين هذا وهذا و أي مناسبة ؟!! .

د – أنه لا حق لأحد على الله إلا ما أوجبه على نفسه ، فالله أوجب على نفسه إثابة الطائعين ونصرة المتقين، و ليس مما أوجبه الله على نفسه إجابة دعوة من يذكر ذات وجاه ذلك الصالح !! .

٣- من أنواع التوسل الممنوع ، الإقسام على الله بالمتوسل به ، وهذا يدخل في الحلف بغير الله ، وقد جاء في الحديث : " من حلف بغير الله فقد أشرك " .

التبرك

تعريفه : البركة كثرة الخير وزيادته واستمراره ، فالتبرك : ((طلب النماء و الزيادة في الخير)) .

والتبرك منه الديني ومنه الدنيوي، وهو على صور فمنه تبرك بفعل منه تبرك بذات ومنه تبرك بطعام وشراب وغير ذلك

أقسامه و أحكامه :

الأول : التبرك المشروع ، وهو التبرك بما دل الدليل الصحيح على أنه بركة ، ومن أمثلته :

١- التبرك بذات النبي – ﷺ – خاصة ، و ما انفصل منه كشعره، و قد جاءت النصوص بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها " ، وقال أنس : " لقد رأيت رسول الله ﷺ و الحلاق يحلقه و أطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل " .

٢- التبرك القولي المشروع ، كالتبرك بقراءة القرآن و الذكر ، فقد دلت الأدلة على الفضائل و المنافع الدينية و الدنيوية لمن قرأ القرآن و الأذكار ، و كقول النبي صلى الله عليه وسلم عن سورة البقرة : " أخذها بركة "

٣- التبرك بالبقاع بالطريقة المشروعة ، كالتبرك بالمسجد الحرام و النبوي و الأقصى، فكما في الأحاديث أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، و في النبوي بألف صلاة، و كالتبرك بسكنى المدينة ، و هناك بلاد مباركة كالشام ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة للشام و اليمن .

تنبيه : أمران لا بد من التنبه لهما ، وهما ١- المتبرك به ٢- طريقة التبرك به ، فإذا قلنا أن المساجد الثلاثة يُتبرك بها، فلا يعني هذا أن يأتي الرجل ويتمسح بأرضها !! ، بل لا بد من الطريقة المشروعة ، فيكون التبرك بها بالصلاة فيها، فلكل شيء مبارك طريقة شرعية للتبرك به، فالقرآن بقراءته يُتبرك وبالعمل به و تدبره وسماعه، و المساجد بالصلاة فيها ، وبعض البقاع بسكناها و الموت فيها –كالمدينة – ، فمتى خالف الطريقة المشروعة كان ذلك بدعة .

٤- التبرك ببعض المجالس ، كمجالس الصالحين العامرة بالذكر ، فكما في الحديث القدسي : " هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم " .

٥- التبرك بشرب و أكل ما دل الدليل على بركته ، كما زمزم و زيت الزيتون و غير ذلك مما دل عليه الدليل، ففي الحديث عن ماء زمزم : " إنها مباركة " وقال تعالى عن شجرة الزيتون : ((شجرة مباركة)) وفي الحديث : " كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شجرة مباركة".

٦- التبرك ببعض الأزمان و الأوقات الفاضلة ، كشهر رمضان و العشر الأواخر منه وليلة القدر ، و العشر الأوائل من ذي الحجة ، و الأشهر الحرم ، و ثلث الليل الآخر ، وعاشوراء وغير ذلك، ويكون التبرك بالطريقة الشرعية، فمثلا يتبرك بعاشوراء بصومه لا بالضرب و النياحة كما تفعل الرافضة.

٧- التبرك ببعض الأحوال و الهيئات ، كأن يكون العبد ساجداً ، أو صائما أو مظلوما أو مسافراً ، أو إماما عادلاً، و نحو ذلك ، فيتبرك بالطريقة المشروعة ، فأقرب ما

يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وفي الحديث : " ثلاثة لا تُرد دعوتهم : الإمام العادل، و الصائم حين يفطر، و دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام و تُفتّح لها أبواب السماء، ويقول الرب عز و جل : و عزتي لأنصرنّك ولو بعد حين " . وفي حديث آخر : " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده ، و دعوة المسافر ، ودعوة المظلوم " .

٨- التبرك بالعبادات القلبية و العملية ، فإن لها بركة عظيمة منها أن العلم يتبارك ، قال تعالى : ((و اتقوا الله و يعلمكم الله)) ، و تزيد التثبيت قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)) ، وقد جاء في تفسير قول الله عن قول عيسى عليه السلام ((و جعلني مباركا أينما كنت)) أن بركته في نفع الغير و تعليم الخير و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

الثاني : التبرك الممنوع ، وهو على نوعين : أ- شركي ب – بدعي

أ – التبرك الشركي : ما يقع فيه صاحبه في الشرك الأكبر ، ومن أمثلته :

١- أن يعتقد أن هذا المبترك به يهب البركة بنفسه فيبارك في الأشياء استقلالا ، فهذا شرك أكبر .

٢- أن يطلب منه الخير و النماء فيما لا يقدر عليه إلا الله أو أن يعتقد هذا فيه، فالله وحده سبحانه هو موجد البركة وواهبها، فاعتقاد أنه غيره يبارك استقلالا أو يطلبها من غيره شرك أكبر ، وفي الحديث : " البركة من الله " .

ب- التبرك البدعي : وهو التبرك بما لم يدل عليه الدليل المعتبر ، ومن أمثلته :

١- التبرك بذوات الصالحين وما انفصل منها، كالتمسح بهم و بملابسهم ، كما تفعل الصوفية و الرافضة ، فإن هذا لا دليل عليه ، وهو خاص بالنبي ﷺ، لذا لم يتبرك الصحابة بأبي بكر – رضي الله عنه – .

٢- التبرك ببعض الأزمان بصيامها أو فعل عمل معين فيها، ولم يدل الدليل على ذلك ، كالاحتفال بالمولد النبوي وما يقع فيه ، و كما يفعل الرافضة في عاشوراء ، و نحو ذلك، فالصحابة و السلف لم يفعلوا ذلك ولا دليل عليه، وفي الحديث : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "

٣- التبرك ببعض البقاع بلا دليل ، كالتبرك بالأماكن التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء عن عمر ﷺ : " إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل و إلا فليمض " وكذا أمر ﷺ بقطع شجرة بيعة الروضوان ، ومن أمثلة ذلك أيضا التبرك بالعبادات التي لم تشرع عند القبور و التمسح بالقبور ، و بالآثار و الأشجار ونحو ذلك مما هو بدعة لا أصل لها .

٤- التبرك ببعض الأحوال والهيئات و الأفعال البدعية التي يظنها الجهلة عبادة ولم يدل الدليل على التبرك بها ، كأحوال الصوفية ، و هيئة الاجتماع عند الذكر أو الرقص و غير ذلك .

٥- التبرك بما دل الدليل على أنه بركة ، لكن بطريقة غير مشروعة ، فمثلا : دل الدليل على أن المساجد الثلاثة بركة، ولكن طريقة التبرك بها هو بالصلاة و الذكر و الاعتكاف ونحو ذلك ، فمن تمسح بها ، فهو مبتدع، وكذا زيارة القبور الشرعية يكون بالسلام عليها و دفن الموتى فيها و الدعاء لهم بالرحمة ، لا بالتمسح بها و الصلاة فيها ونحو ذلك .

الولاء و البراء

أولا : مفهوم الولاء و البراء

١- في اللغة :

أولا: معنى الولاء لغة:

الولاء مصدر من والى يوالي ولاء وموالاة، بمعنى: أحب، وقرب، وأدنى، وحابى. والمولى: الحليف، وهو من انضم إليك فعز بعزك، وامتنع بمنعتك، وتولاك الله: أي نصرك. والولي ضد العدو، وهو: المحب، والصديق، والنصير، والتابع١. فالولاء على هذا يعني في اللغة: الحب، والدنو، والقرب، والنصرة.

ثانيا: معنى البراء لغة

البراء مصدر من برئ يبرأ براء وبراءة بمعنى: أبغض، وتباعد، وتخلص. يقال: بارأت الرجل، إذا فارقته، وبارأت المرأة، إذا صالحتها على الفراق. وبرئت من كذا، إذا تخلصت منه، وتنزهت، وتباعدت عنه، وبرئ المريض برءا وبرءا، إذا شفي وتخلص مما به. وبرئ فلان من فلان، إذا تباعد وتخلى عنه٢؛ فالبراء لغة يأتي بمعنى التخلص، والتنزه، والتباعد، والتباغض، والتجافي، والمفارقة.

٢- في الشرع :

أولا: معنى الولاء شرعاً: موافقة العبد ربه فيما يحبه و يرضاه من الأقوال و الأفعال و الاعتقادات والذوات، فيحب ما أحبه الله من ذلك وينصره .

ثانيا: معنى البراء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يسخطه ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال و الأفعال و الاعتقادات و الذوات، فيبغض ما أبغضه الله من ذلك ، ويعادي ما يبغضه الله .

ثانياً : منزلة الولاء و البراء في الإسلام :

١- عقيدة الولاء والبراء يرددها المسلم يوميا مرات كثيرة، كلما ردد كلمة الإخلاص: "لا إله إلا الله"؛ لأنها تعني البراء من كل ما يعبد من دون الله. وهذه الكلمة مزقت كل رابطة، وأهدرت كل وشيجة، إلا وشيجة العقيدة .

٢- الحب في الله والبغض في الله شرط من شروط صحة "لا إله إلا الله"؛ لأن من شروطها: حبها، وحب ما دلت عليه، وحب من نطق بها، ودعا إليها، وبغض ما يضادها.

٣- عقيدة الولاء والبراء هي أوثق عرى الإيمان. يقول رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله".

٤- تحقيق عقيدة الولاء والبراء من الإيمان. يقول رسول الله ﷺ: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان".

٥- تحقيق عقيدة الولاء والبراء تحقيقا تاما سبب لنيل ولاية الله عز وجل. يقول حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك".

٦- سبب لذوق القلب حلاوة الإيمان. يقول رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

٧- الاتصاف بصفة الحب في الله، سبب لنيل الأجر العظيم؛ فالمتحابون في الله يظلهم الله في ظله. يقول ﷺ: "إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

قال أبو الوفاء بن عقيل : " إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بـ (لبيك) ، و إنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة " .

ثالثا : حكم الولاء و البراء

الولاء و البراء واجب شرعي، و هو من مقتضى (لا إله إلا الله)، فلا إيمان بلا ولاء وبراء .

رابعا : الأدلة على وجوب الولاء و البراء و أنه لا إيمان إلا بهما

١- قول الله سبحانه وتعالى: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}.

٢- قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

٣-قول الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}

٤- قول الله عز وجل: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

٥- قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}

٦- قوله تعالى : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ))

٧- قول رسول الله ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"

٨- قول رسول الله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "

٩- قول رسول الله ﷺ : " لا يجد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، و ان يحب المرء لا يحبه إلا لله، و أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف في النار " .

خامسا : متعلقات الولاء والبراء (بماذا يتعلق الولاء و البراء ؟)

اعلم أن الولاء و البراء أمر ضروري يلازم الإيمان ، وكذب من زعم أنه مؤمن ولا يتبرأ من الشرك و أهله، فإن من أحب شيئا كَرِه ما يضاده، ألا ترى أن حب أمه محبة حقيقية لا يرضى أن يُطعن في عرضها أو أن تهان ، فمن طعن في عرض أمه يكرهه ولو كان يقدم له الهدايا و المال ، فمن زعم الإيمان ثم لم يتبرأ من الشرك و المشركين لم يصدق .

إذا علمت هذا فاعلم أن الولاء يتعلق بما يحبه الله والبراء يتعلق بما يبغضه الله، فيتعلقان في الأمور الآتية :

١- الأقوال ، فالولاء يتعلق بالأقوال المحبوبة لله – كالذكر و غير ذلك – ، و البراء يتعلق بالأقوال التي يكرهها الله كالشرك و الكذب .

٢- الأفعال ، فالولاء يتعلق بالأفعال المحبوبة لله كالصلاة و الحج و الجهاد ، و البراء يتعلق بالأفعال التي يكرهها الله كالسجود لغير الله و الزنا و غير ذلك .

٣- الاعتقادات ، فالولاء يكون للاعتقادات الشرعية كالتوحيد و اعتقاد أركان الإيمان ، و البراء يتعلق باعتقادات الكفر و البدعة ، كاعتقاد الشرك .

٤- الذوات و الأشخاص ، فالولاء يكون للأشخاص الذين يحبهم الله وهم الرسل و أتباعهم، و البراء يكون من المشركين و المنافقين .

مسألة : ما حكم محبة شيء مما يبغضه الله ، و كراهية شيء من شرع الله ؟
الجواب : المحبة و الكراهية على أقسام ، منها محبة جبلّية ، لا يكلف فيها الإنسان ، بل هو مجبول عليها ، ولا يتبعها عمل ، مثل محبة السلامة و كراهية القتال لأنه تعريض للنفس للخطر ، وكذا كراهية المرأة أن يتزوج عليها زوجها وغيرتها ، فهذا لا يأثم صاحبه إذا لم ينتج منه عمل محرم، بل الصبر عليه من أعظم الأجور ، لذا جاء الحديث بفضل إسباغ الوضوء على المكاره ، وقال تعالى : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم و عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)) ، ولكن إن تعدى هذا الكره إلى

الكراهية الاختيارية، فأصبحت الكراهية للتشريع ، فيكره تشريع الجهاد كراهية المنافقين له ، و كرهت المرأة تشريع التعدد ، و لم يسلموا لأمر الله وحكمته ، ولم يعتقدوا حسن التشريع و أنه لحكمة ربانية ، فهذا كفر أكبر ، قال تعالى : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ))، و لو أصبح محبا للزنا و لترك الجهاد و نحو ذلك محبة اختيارية فإن أنكر حرمتها كفر، و إن أقر بحرمة ذلك لكنه أحبه محبة شهوانية نقص إيمانه بقدر مخالفته، وهناك أمور يكفر بمجرد محبتها كالشرك .

سادساً : أقسام الناس في الولاء و البراء

أولا : من يستحق الولاء المطلق ، وهم الرسل و المؤمنون الصالحون .

ثانيا : من يستحق الولاء من جهة ، و البراء من جهة أخرى ، وهو المسلم الفاسق أو المبتدع، فهذا يوالى بقدر ما معه من الإيمان ، ويُتبرأ منه بقدر فسوقه .

ثالثا: من يستحق البراء مطلقاً وهو المشرك الكافر .

مسألة: ما حكم موالاة الكافرين و محبتهم ؟

على قسمين :

١- كفرية ، وهي التولي لهم/ ومن **صورها** : محبة ما هم عليه من شرك ، أو ترك البراءة من شركهم، أو عدم تكفيرهم ، أو محبة ظهورهم على المسلمين ، أو معاونتهم على المسلمين بما يُظهرهم على المسلمين ، أو اللبث عندهم متجنسا بجنسيتهم منضماً لجيوشهم خاضعا لقوانينهم، أو مشاركتهم في شعائر الشرك بفعلها أو إقرارها و الدعوة إليها فهذا كله كفر أكبر ، قال تعالى : ((و من يتولهم منكم فإنه منهم)) .

٢- الموالاة المحرمة غير الكفرية و من **صورها** : محبتهم ومعاونتهم لمصلحة دنيوية بما لا يؤدي إلى ظهور الكفر على الإسلام ، والتشبه بهم بما ليس كفرا ، و تمجيدهم و الثناء عليهم لتقدم بعضهم الحضاري بما قد يجعلهم قدوة دون النظر لفساد عقائدهم، و توظيفهم

وترك أهل الكفاءة من المسلمين، ونشر عاداتهم بما يذهب ثقافة العرب و المسلمين أو يجعلها مقدمة عليهم.

وهذا القسم من الموالاة قد يصل لكبائر الذنوب ، لكنه ليس كفر أكبر ، قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)) فسماهم الله مؤمنين مع إنكار ما وقعوا فيه، فدل ذلك أنهم لم يكفروا.

ملاحظة : المراد بالحب المأمور به ، و الكره المأمور به ، الاختياري ، لا الجبلي فإن الجبلي لا يؤاخذ به العبد، كحب الولد لوالده المشرك ، فإنه إن كان جبلي ، لابأس به ، ولكن لا يتبع ذلك العمل ، و يكرهه الكره الاختياري ، فيجتمع الحب من جانب الجبلة و الطبع مع الكره من الجانب الاختياري ، وهذا متصور ، كالولد الصالح يكره والده إن كان سكّيرا ظالما سفاحا سارقا يقتل الأبرياء ، ومع ذلك يبقى قلبه يحبه حب جبلي فهو والده ، ولكن الحب الجبلّي لا يمنع الكره الاختياري ، ولا يترتب عليه عمل .

يقول ابن قاسم النجدي في حاشيته عند كلامه عن قول الله تعالى : ((قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم ...)) الآية : " المراد بالحب هنا الحب الاختياري المستتبع لأثره، الذي هو الملازمة وتقديم الطاعة، لا ميل الطبع؛ فإنه أمر جبلي لا يمكن تركه، ولا يؤاخذ العبد عليه، ولا يكلف بالامتناع منه " .

وفي تيسير العزيز الحميد قال في قوله تعالى {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} : " أي: أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.

وقد ثبت في "الصحيحين" أنها نزلت في أبي طالب، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في حقه، ويحبه حبًا طبْعيًا لا حبًا شرعيًا، فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه، واختطف من يده، واستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحجة البالغة "

سابعا : العلاقة بين البراءة من الكفار و معاملتهم

اعلم – وفقك الله – أن الكافرين لا يُعاملون معاملة واحدة ، فهم على مراتب ، فالحربي لا يُعامل معاملة المستأمن و المعاهد و الذمي ، بل لكل واحد معاملة تخصه ، بل قد يكون البر و المعروف مع البراءة ، كمعروف الولد المسلم لوالديه الكافرين ، قال تعالى : ((وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا))، فمن الخطأ معاملة الكافرين معاملة واحدة على شتى أصنافهم ، بل قد يكون من الكبائر ، ألا ترى أن قتل الكافر الحربي وجهاده من أعظم الطاعات، وقتل المعاهد والذمي من الكبائر ، كما قال ﷺ : "من قتل ذميا أو معاهداً لم يرح رائحة الجنة " ، بل يجب على المسلمين حماية المستأمنين و الذميين ، و يجب عليهم قتال الكافرين الحربيين ، فمن الخطأ عدم التمييز بين أصناف الكفار في هذا، فالحربي لا يعامل معاملة المعاهد فلا يرحب به ولا يُتعاون معه و لا يُتلطف له ، و المعاهد لا يُعامل معاملة الحربي ، فلا يُقتل .

جعلك الله من أهل ولايته ممن علم وعمل و قام بالدعوة فصبر

تم بحمد الله

فهذه بعض حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته على سبيل الإيجاز والاختصار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

ثمرات الإيمان بالرسل : للإيمان بالرسل ثمراتٌ جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنّ العقل البشري، لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: مَحَبَّةُ الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وتعظيمهم، والثَّناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنُّصحِ لعباده.

ثالثًا :الإيمان باليوم الآخر :

١-معنى الإيمان باليوم الآخر وحكمه مع الأدلة

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يُبْعثُ الناس فيه؛ للحساب، والجزاء.

ومعنى الإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بكل ما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه وأخبر به رسوله - صلى الله عليه وسلم - بما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وأحوال يوم القيامة ، وما فيها من البعث ، والحشر، والصحف، والميزان، والحساب، والحوض، والصراط، والجنة والنار، وغيرها من الأمور الثابتة في الكتاب أو السنة

حكم الإيمان باليوم الآخر :الإيمان باليوم الآخر واجب ، وهو ركن من أركان الإيمان في الإسلام ، لا يتحقق الإيمان إلا به ، وقد نص الله على ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته.

قال تعالى: [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ] (البقرة: ٢٨٥)
وقال تعالى في آية أخرى: [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ] (البقرة: ١٧٧) .

وأخبر الله عز وجل أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال: [وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] (النساء: ١٣٦)

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت

٢-المراد بالروح ومستقرها في البرزخ وإبطال دعوى التناسخ وتحضير الأرواح

المراد بالروح : هي عين حادثة ، قائمة بنفسها ، ذات صورة ، وصفات ، لا تكيف ،تتصل بالبدن فيحيا ، وتنفصل عنه فيتوفى ، وهي خالدة يبلى ظرفها ولا تبلى ، وتسعد معه وبدونه وتشقى .

مستقر الأرواح في البرزخ: مستقر الأرواح : هو المكان الذي تكون فيه الأرواح بعد أن تفارق أجسادها بالموت ، وهو مقر نعيم أو عذاب ، إلى أن تبعث مع بدنها إلى مقرها ، والأرواح ليست على درجة واحدة ، بل هي مراتب ودرجات متباينة ، ويمكن بيان ذلك وعرضه على النحو الآتي :

الأول :أرواح الأنبياء، وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر لحظات حياته يقول: ((اللهمَّ الرفيق الأعلى)) رواه البخاري ومسلم.

الثاني: أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيوراً تعلق في شجر الجنة، ففي الحديث الذي يرويه عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة)) رواه أحمد .

الثالث: أرواح الشهداء: تقدم أن أرواح عموم المؤمنين في شكل طير في الجنة ، وأما الشهداء فنوعان : نوع أرواحهم في حواصل طير خضر في الجنة ، ودليل ذلك قوله تعالى : وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿آل عمران: ١٦﴾، سأل مسروق عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال: ((إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: " أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل)) رواه مسلم في صحيحه .

صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه " ، يعني حبست روحه عن مستقرها مع أرواح المؤمنين

الصنف الثاني : من حبس بسبب ذنب ، وخاصة كبائر الذنوب ، من نحو الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور، ضيق أعلاه، وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشط من يلقمه حجارة ، والذي لا يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك

ومما يحسن التنبيه إليه : أن الموانع من دخول الأرواح الجنة تزول في الدين بقضائه ، وفي الذنوب بتكفيرها ، ثم تعود بعد إلى مستقرها من الجنة ، لأن عذاب القبر منه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع ، والمقصود هنا الثاني .

السادس: أرواح الكفار : دلت النصوص على أن مقر أرواح الكفار النار ، وفي بعضها في سجين في الأرض السفلى بحسب منازلهم .

جاء في حديث البراء الطويل : أن الملائكة إذا قبضت روح الكافر : يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط] ﴿الأعراف: ٤٠﴾ فيقول الله عز وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ". ثم قرأ: [ومن يشرك بالله، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق] ﴿الحج: ٣١﴾ "رواه الإمام أحمد في مسنده

إبطال القول بالتناسخ :

المقصود بتناسخ الأرواح هو أن الجسد إذا مات ، انتقلت روحه إلى جسد آخر لتسكنه .

وقد قال بتناسخ الأرواح الباطنية، والإسماعيلية، والدروز، والنصيرية والبابية ، والبهائية ، والقاديانية.

ولا ريب أن القول بتناسخ الأرواح من أبطل الباطل ، وأعظم الكفر بالله تعالى وبكتبه ورسله ، لأن حقيقة هذا القول إنكار كل ما يتعلق بيوم القيامة من عذاب القبر ونعيمه ، والبعث والنشور ، والحساب ، والجنة والنار .. ، وهذا يناقض تماما ما جاءت به الرسل ، واشتملت عليه كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله ، قال ابن حزم رحمه الله : (فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم ، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بغير هذا)

ونوع أرواحهم في قبة خضراء على نهر بباب الجنة ،ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الشهداء على بارق – نهر بباب الجنة – في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا "

قال الساعاتي : (قال العلماء هذا في شهداء عليهم ذنوب منعتهم من دخول الجنة مع السابقين، فلا ينافي ما ورد من أن أرواح الشهداء في أجواف طيور تسرح في الجنة لأن ذاك في حق من ذنوب عليهم)

الرابع : مستقر أرواح ذراري المؤمنين والمشركين دلت النصوص على أن أرواح الذراري بإطلاق ممن لم يبلغ الحنث في الجنة ، في كفالة إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجه سارة على ما بينهم من التفاضل والتفاوت في الدرجات .

روى البخاري في صحيحه عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: إني أتاني الليلة آتيان، فذكر الحديث ... وفيه: "وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود يولد على الفطرة" فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأولاد المشركين".

وروى أبو يعلى من حديث أنس مرفوعاً " سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم" إسناده حسن، وورد تفسير " اللاهين " بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعاً أخرجه البزار.

وأخرج أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: " قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة ". وإسناده حسن.

الخامس :مستقر الأرواح الحبيسة : وهذه أرواح مؤمنة قد حبست عن دخول الجنة بسبب يزول بزواله حبسها ، وهم صنفان من المؤمنين :

الصنف الأول من حبس بسبب دين ، ويدخل هنا الشهداء وغيرهم . روى الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه.

قال العلماء : معلقة أي محبوسة عن مقامها الكريم

وروى الإمام أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الفجر ذات يوم، فقال: " هاهنا من بني فلان أحد؟ " مرتين "، فقال رجل: هو ذا، فكأني أسمع صوت النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن

وقد بينت اللجنة الدائمة حقيقة ما يدعيه هؤلاء من تحضير الأرواح : (إن ذلك هو المعروف باستخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره، وذلك نوع من الشعوذة والكهانة، وهو ممنوع شرعاً؛ لما فيه غالباً من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك. قال الله تعالى: [وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً]، وقال: [يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم * وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون])

٣-النصوص الشرعية الواردة في فتنة القبر وعذابه ونعيمه والرد على من أنكره

أولًا: فتنة القبر : هي سؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، والأدلة الشرعية على ذلك ما يلي :

١- روى البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: [يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ] ﴿إبراهيم: ٢٧﴾ »

٢- روى البخاري عن أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل (لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»

٣- ورى الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعا في سبعين. . وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري: فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»

ومن النصوص البينة في إبطال قولهم : ما ورد في السنة النبوية من سؤال الملكين، وعذاب القبر ونعيمه ، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى يرسل ملكين إلى الإنسان عقب وفاته، يسألانه عن ربه ودينه وعن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فإما أن يتعرض إلى العذاب أو النعيم، ، والعذاب أو النعيم إنما يكونان على الروح والجسد ، فالروح حينئذ مشغولة بصاحبها محبوسة له أو عليه، كما قال الله عز وجل: (كل نفس بما كسبت رهينة) ﴿ المدثر : ٣٨﴾، ولا يمكن أن تنصرف عنه لتسكن جسدًا آخر .

إبطال القول بتحضير الأرواح : لا صحة لمن يزعم قدرته على تحضير الأرواح من مستقرها ، ومثولها بين يديه ومناجاتها ، لأن الله أخبرنا أن الروح من عالم الغيب الذي لا سبيل إلى إدراكه: (ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً) ﴿ الإسراء: ٨٥﴾ .

وأخبر الحقّ – تبارك وتعالى – أنه يتوفى الأنفس، وأنه يمسك النفوس عند موتها: (الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك الَّتي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمّىً) ﴿ الزمر: ٤٢ ﴾ .

وقد وكّل الله بالأنفس ملائكة يعذبونها إن كانت شقية كافرة، وينعمونها إن كانت صالحة تقية.

وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يقبض ملك الموت الأرواح وما يفعل بها بعد ذلك.

والأرواح إذا كانت مُمْسكة عند ربها وكل الله بها حفظة أقوياء مهرة، فلا يمكن أن تتفلت منهم، وتهرب لتأتي إلى هؤلاء الذين يتلاعبون بعقول العباد.

وبعض هؤلاء يزعم أنه حضّر روح عبد من عبيد الله الصالحين من الأنبياء والشهداء، فكيف يتركون جنان الخلد إلى حجرة التحضير المظلمة، فقد أخبرنا الله أن الشهداء أحياء عند ربهم: (ولا تحسبنَّ الَّذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ﴿ آل عمران: ١٦٩ ﴾ .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم (أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءَت، ثمّ تأوي إلى تلك القناديل) . رواه مسلم في صحيحه ، فكيف يزعم دجالو العصر أنهم يحضرون أرواح هؤلاء؟ كيف؟ (كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاَّ كذباً) ﴿ الكهف: ٥ ﴾ .

٤- روى البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل -أو قريبا من- فتنة الدجال -)

٥- حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم مرفوعا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال بعد أن ذكر خروج الروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك»

الثاني : عذاب القبر ونعيمه :

لماذا أضيف النعيم والعذاب إلى القبر مع أنه يكون ولو لم يقبر الميت ؟

قال ابن حجر رحمه الله : (وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله)

والإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ، فمن ذلك:

١-قوله تعالى: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ﴿ التوبة: ١٠١ ﴾

وجه الدلالة : أن الآية الثانية دلت على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني عذاب القبر، قال الحسن البصري: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) ﴿ التوبة: ١٠١ ﴾ : عذاب الدنيا، وعذاب القبر " ، وقال الطبري: " والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال أو غير ذلك "

٢- قوله تعالى: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ - النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ﴿ غافر: ٤٥-٤٦ ﴾ .

وجه الدلالة : إن الحق تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، وهذا قبل يوم القيامة، لأنه قال بعد ذلك: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ﴿ غافر: ٤٦ ﴾ ، قال القرطبي: " الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر "

٣- قوله تبارك وتعالى: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) ﴿ إبراهيم: ٢٧ ﴾

روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أقعد المؤمن في

قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) ﴿إبراهيم: ٢٧﴾ ، وفي رواية أخرى: وزاد: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ) ﴿إبراهيم: ٢٧﴾ نزلت في عذاب القبر "

٤-قوله تعالى :[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا] ﴿طه: ١٢٤﴾

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله جل وعلا: [فإن له معيشة ضنكا] قال: "عذاب القبر" ، قال ابن كثير : (إسناده جيد)

٥- قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ﴿سورة الأنعام: ٩٣﴾

وجه الدلالة من الآية من وجهين :

الأول : أن الملائكة باسطوا أيديهم بالعذاب والضرب للظالمين وهم في غمرات الموت .

الثاني : أن هذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون

الأدلة من السنة على عذاب القبر ونعيمه :

١- عن أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل (لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»

٢-عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» متفق عليه

٣- عَن أَبى أَيُّوب قَالَ خرج النَّبِي وَقد وَجَبت الشَّمْس فَسمع صَوتا فَقَالَ : (يهود تعذب فِي قبورها) متفق عليه

٤- وعن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب

القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه؛ فقال: تعوَّذوا بالله من عذاب النار) قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: (تعوَّذوا بالله من عذاب القبر) رواه مسلم

٥- وعن ابن عباس؛ "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما؛ فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخر؛ فكان يمشي بالنميمة"، ثم دعا بجريدة، فشقها، فشقها نصفين، فقال:"لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا". متفق عليه

٦- عَن أَبى هُرَيْرَة أَن النَّبِي قَالَ : (إِذا فرغ أحدكُم من التَّشَهُّد الْأَخير فليتعوذ بِاللَّهِ من أَربع من عَذَاب جَهَنَّم وَمن عَذَاب الْقَبْر وَمن فتْنَة الْمحيا وَالْمَمَات وَمن فتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال) رواه مسلم

المخالفون في عذاب القبر : أنكرت الملاحدة ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة، واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئاً مما أخبرت به النصوص .

وأنكره أيضاً الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي، وخالفهم جميع أهل السنة، وأكثر المعتزلة ، واستدلوا على ذلك بالشرع والعقل .

أما الشرع فقوله تعالى : [لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى] ﴿ الدخان: ٥٦ ﴾ وقوله تعالى: [وما أنت بمسمع من في القبور] ﴿ فاطر: ٢٢ ﴾ .

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين لا موتة واحدة ، وقالوا في الآية الثانية: إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع، ولو كان الميت حيا في قبره أو حاسا لم يستقم التشبيه.

وأما العقل : قالوا : إنا نرى شخصا يصلب ويبقى مصلوبا إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذريت أجزاؤه المتفتتة في الرياح العاصفة شمالا وجنوبا وقبولا ودبورا فإنا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة.

الرد عليهم من خلال ما يلي :

أولًا : أن قولهم هذا باطل بالشرع والإجماع

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه

وأما الإجماع : فقد حكاه غير واحد من علماء المسلمين ،قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة :" وقد أجمع على ذلك – أي عذاب القبر ونعيمه – الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين "

وقال شيخ الإسلام : "وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة: هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع"

ثانيًا : أن ما استدلوا به من الآيات والعقل على نفي عذاب القبر، فالجواب عليه ما يلي :

١–أن قوله تعالى :[لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى] ،لا يدل على ما ادعوه ، لأن الآية في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموت ، فليس في الآية حديث عن عذاب القبر ولا نعيمه ولا تعلق للآية به .

ويضاف على ذلك أن الإيمان بحياة الأموات في قبورهم لا يقتضي مساواة حياتهم في البرزخ بحياتهم في الدنيا، بل هي حياة خاصة قدرها الله سبحانه لهم، تتصل فيه الروح بالجسد اتصالا خاصا لتنعم فيه أو تعذب .

٢–وأما استدلالهم بقوله تعالى:[وما أنت بمسمع من في القبور](فاطر: ٢٢) فالجواب عنه: بأن الآية وردت في سياق تشبيه حال الكفار من حيث عدم انتفاعهم بسماع المواعظ والآيات بحال أهل القبور الذين لا ينتفعون بشيء مما يلقى عليهم، فالآية تنفي سماع الانتفاع لا مطلق السماع بدليل أن الكفار وهم المرادون في الآية بالأموات يسمعون الآيات بلا شك ولكنهم لا ينتفعون بها .

٣–وأما استدلالهم بالعقل بأنهم يرون الشخص يصلب ويبقى مصلوبا إلى أن تذهب أجزاؤه، ولا نشاهد فيه أيّاً من علامات الحياة فلا نراه يعذب ولانراه ينعم.. فالرد عليه من وجوه:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع، بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمَّل المعارض بها ما جاء به الشرع حقَّ التأمل؛ لعلم بطلان هذه الشبهات.

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحسُّ، ولو كانت تدرك بالحس؛ لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب، والنعيم، وسعة القبر، وضيقه؛ إنما يدركها الميِّتُ دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيِّق موحش، أو في مكان واسع بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به، ولقد كان النبيُّ صلى الله عليه

وسلم يوحى إليه، وهو بين أصحابه؛ فيسمعُ الوحي، ولا يسمعهُ الصحابة، وربما يتمثَّل له الملك رجلاً فيكلِّمه، والصحابة لا يرونَ الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت شفقة بنا ورحمة ، قال صلى الله عليه وسلم: (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) رواه مسلم

الخامس :أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السَّبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبحُ بحمد الله تسبيحًا حقيقيًّا، يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانًا، ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّموَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ﴿ سورة الإسراء: ٤٤ ﴾ ، وهكذا الشياطين، والجن يسعون في الأرض ذهابًا وإيابًا، وقد حضرت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا لقراءته، وأنصتُوا، وولَّوا إلى قومهم منذرين، ومع هذا؛ فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) ﴿ سورة الأعراف: ٢٧ ﴾ ، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود؛ فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

أهم أشراط الساعة الصغرى والكبرى مع الأدلة ، وخطأ الانحراف في تنزيلها

تعريف أشراط الساعة:

الأشراط: هي علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: [فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا] (محمد: ١٨)

أقسام أشراط الساعة :درج كثير من أهل العلم على تقسيم أشراط الساعة إلى قسمين :

القسم الأول :كبرى القسم الثاني : صغرى

القسم الأول : أشراط الساعة الصغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وذلك مثل :

١-بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل أحدهما على الأخرى "، وضم السبابة والوسطى» رواه البخاري

٢-انشقاق القمر : قال الله تعالى: [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ - وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ] ،وعن

أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر» رواه مسلم

٣-نار الحجاز : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»متفق عليه . (مدينة معروفة بالشّام. وهي مدينة حوران)

قال النووي – رحمه الله –: " خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة "

٤-الفتن: دلت نصوص كثيرة صحيحة على أن من علامات الساعة كثرة الهرج، وهو القتل واللغط وظهور الفتن وانتشارها ونزولها في البلاد وكبر بلائها وهولها، حتى يمسي المرء المسلم من شدة وقعها كافرا، ويصبح مؤمنا، ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا، وتجيء الفتنة تلو الأخرى فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتظهر أخرى، فيقول هذه هذه إلى أن يشاء الله، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، وكلما طال الزمان بأهله وبعد بهم كانت الفتن أشد ومصائبها أعظم، كما شهدت بذلك نصوص الشرع، ودلت عليه الحوادث والوقائع، فعن الزبير بن عدي قال: «أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقي من الحجاج فقال: " اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم» رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم

٥-خروج الدجالين والكذابين أدعياء النبوة : عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» رواه أبو داود

٦-ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، «قال له جبريل عليه السلام:.. فأخبرني عن الساعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل "، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ ، قال: " أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»

٧-قبض العلم وظهور الجهل: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا» رواه البخاري

القسم الثاني : أشراط الساعة الكبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة : وهي المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد؛ قال: اطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ((ما تذاكرون)) ؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن؛ تطرد الناس إلى محشرهم)) . رواه مسلم

خطأ الانحراف في تنزيل أشراط الساعة : منهج السلف الصالح -من أهل السنة والجماعة-؛ عند حلول الفتنة، عدم تنزيل أحاديثها على واقع حاضر، وإنما يتبين ويظهر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أنبأ وحدث به أمته من حدوث الفتن عقب حدوثها واندثارها، مع تنبيه الناس وتحذيرهم من الفتن عامة، ومن تطبيقها على الواقع الحالي خاصة ، وينبني على هذا أنه لا يجوز للمسلم أن يحكم بإسقاط أحاديث الفتن على أحداث آخر الزمان بمجرد التخمين، بل لابد من أن يكون ذلك مبنيا على ضوابط شرعية، فإن عدم رعايتها يوقع في أخطار جسيمة، تكون لها عواقب وخيمة في حياة الأمة المسلمة، فن ذلك :

١-تعريض نصوص الكتاب والسنة للتكذيب :فإن تنزيل بعض النصوص على بعض الواقع يعرضها للتكذيب، خاصة إذا كان الأمر المنزل عليه غير متفق على مصداقيته، بل هو في دائرة البحث والظن.

ومن ذلك ما حصل من تنزيل مثلثي برمودا وفورموزا على الدجال وأنه قابع هناك، فماذا سيكون الحال إذا تم اكتشاف أن ما ذكر حول هذين المثلثين غير صحيح، أو تم الوصول إليهما، وبان للناس أن المشكلة ليست في المثلث، لاشك أن هذا سيجعل النصوص معرضة للتكذيب .

٢_ تحريف النصوص عن معانيها، وإخراجها عن مراد المتكلم بها، ومعارضتها بالرأي : حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله: (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً) وفي رواية : (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو) رواه مسلم

فهذا الحديث قد أخرجه بعض المعاصرين عن معناه أمثال محمد فهيم أبو عبية وزعموا أن المراد بالذهب في الحديث هو البترول والنفط

٣_ القدح في قضايا العقيدة والمغيبات : الإيمان بالغيب من أبرز صفات المؤمنين، وهو أول صفة وصف الله بها المؤمنين، قال تعالى : [الذين يؤمنون بالغيب] ﴿ البقرة : ٣﴾ ، ومن لم يؤمن بالغيب فإنه يتخبط بعقله في متاهات لن يصل من ورائها إلى شيء .

ونصوص الفتن وأشراط الساعة من الغيب الذي يجب الإيمان به واعتقاد ما ورد فيها، وهذا هو الذي قرره أهل السنة والجماعة عند إيرادهم لنصوص الفتن وأشراط الساعة

٤_ الوقوع في إشكالات وتناقضات : فإن من لم يثبت على قدم واحدة وواضحة في التعامل مع النصوص، سوف يقع في إشكالات وتناقضات، وهذا هو الذي حصل من بعض الكتاب ومنهم على سبيل المثال :

أ_ الأستاذ منصور عبدالحكيم : فقد حذر من قضية إسقاط النصوص على الأحداث والشخصيات ثم نجده قد ملأ عدداً من كتبه بالتنزيلات والاسقاطات، ومن ذلك كما سبق أن الدجال يركب طبقاً طائراً أو أو طائرة ذات مواصفات خاصة.

وقد وقع الأستاذ في حيرة واضطراب فلم يجد ماينزل عليه خوارق الدجال إلا أفلام الرسوم المتحركة والتي تسمى (أفلام الكرتون) يقول : (وأفلام الكرتون تصور لنا مثل هذه الرؤى عن الدجال لأنها تمهيد طبيعي لأطفال اليوم، الذين هم رجال الغد ووسائل مواصلات الدجال)

ب_ أسامة يوسف رحمة : فقد كان يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المقصودة بالروم في أحاديث الملاحم، ثم غير المؤلف رأيه بسبب تغير الأحداث السياسية في العالم، وأصبح يرى أن دول الاتحاد الأوربي هم الروم وبقي المؤلف في حيرة من أمره أي الاحتمالين هو الصواب

٥_ التعدي على الحرمات، وإزهاق الدماء المعصومة : وهذا الأثر يتضح من خلال قضية المهدي والتي نزلت على أشخاص بأعيانهم على مدار التأريخ .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك ماسبق من حادثة الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ، حيث دفع البعض تفسير النصوص وحملها على الحوادث المعاصرة إلى الوقوع في هذه لفتنة العظيمة مما ترتب عليه مفاسد كبيرة منها :

- انتهاك حرمة البلد الأمين وبيت الله الحرام .
- انتهاك حرمة الشهر الحرام حيث وقعت في شهر محرم .
- انتهاك حرمة دماء المسلمين .
- تعطيل للذكر والأذان والصلاة والطواف والسعي وغيرها من العبادات المتعلقة بالبيت الحرام .
- ترويع المسلمين في البلد الحرام .

٦_ التوصل إلى نتائج خاطئة :ومن ذلك ذم الأشخاص أو البلدان، أو توقع لأحداث.

ومن أمثلته : ماقام به الأستاذ أمين محمد جمال حين اعتقد أن أرض العراق مذمومة، وأن شعبها مذموم ومتأصل فيهم النفاق على مدار التاريخ والأيام إلى يوم القيامة، يقول في أحد عناوينه محذراً من العراق وأهلها : (إياك والعراق وأرضها وشعبها) وقال بعد أن أورد حديث (ألا إن الفتنة هاهنا): (والمقصود بالمشرق هنا العراق وأرضه وشعبه). وقال في نهاية هذا التوجيه : (إياك ياعبدالله ثم إياك والعراق أرض النفاق)

والسبب فيما وصل إليه الأستاذ هو الفهم الخاطيء للحديث، ثم التسرع في التنزيل دون رجوع لأقوال أهل العلم .

المراد بالبعث والنشور وأدلته وصفته والرد على من أنكره :

المراد بالبعث : هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم، والنشور مرادف للبعث في المعنى، يقال: نشر الميت نشوراً إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله أحياه. فإذا شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) ﴿ الزمر: ٦٨ ﴾

أدلة البعث : تضافرت الأدلة على إثبات المعاد بأساليب كثيرة ومتنوعة ، فمن ذلك

١-الإقسام على وقوع البعث: قال عز وجل: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿ التغابن: ٧ ﴾.

٢-الاستدلال بالبدء على الإعادة : وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ﴿ يس: ٧٧ - ٨٠ ﴾.

وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ ﴿ القيامة: ٣٦ - ٤٠ ﴾.

٣- الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ ﴿ الحج: ٥ - ٧ ﴾.

٤-الاستدلال بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى:

١ - قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ الأحقاف: ٣٣ ﴾.، وقال تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ ﴿ النازعات: ٢٧ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ يس: ٨١ ﴾.

٥-الاستدلال بوقوع إحياء الموتى في الدنيا على إمكان ذلك في الآخرة ، كما في الآيات الآتية:

١ - قصة العزير ، أو غيره ممن ذكرهم علماء التفسير من الخلاف في تعيين المار على تلك القرية :

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ

وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾.

٢ – طلب إبراهيم من ربه مشاهدة إحياء الموتى:قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾.

أدلة البعث من السنة:وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جداً، فمن ذلك:

١ –عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، لم يكن لي كفوا أحد) . رواه البخاري.

٢ –وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ما بين النفختين أربعون) – قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت – ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) رواه مسلم

٣– عن عبد الله بن عباس قال: إن رجلاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تُمِسُّوه بطيب، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً " متفق عليه .

صفة البعث : قد حدثنا الحق – تبارك وتعالى – عن مشهد البعث العجيب الغريب فقال: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ – قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ – إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) ﴿يس: ٥١–٥٣﴾ .

وقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق النفخة الثانية في الصور نزول ماء من السماء، فتنبت منه أجساد العباد كما ينبت العشب وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (ما بين

النفختين أربعون) قال: أربعون يومًا. قال: أبَيْت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .

فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء، فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى روى أبو داود، وصححه ابن خزيمة وغيره: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " والله أعلم.

طوائف منكري البعث:

الطائفة الأولى : طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد

الطائفة الثانية : طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم يقرُّون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط

الطائفة الثالثة : القول بمعاد البدن فقط وهذا قول كثير من أهل الكلام

الطائفة الرابعة : القائلون بتناسخ الأرواح ، وهم البوذيون والهنادكة – الهندوس – والباطنية ، فهؤلاء ينكرون البعث بعد الموت ، وإنكارهم مبني على زعمهم انتقال الأرواح إلى أبدان أخرى بعد الموت وفيها يكون النعيم والعذاب

الرد عليهم : أن الله قد بيَّن في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، وردّ على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك، بياناً تاماً غاية التمام والكمال، وقد سبق بيان الأدلة في ذلك

المراد بالحشر والحوض والعرض والحساب والميزان والصراط وأهوال القيامة ، وأدلة ذلك:

الحشر: هو حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف .

وقد دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلا أي غير مختونين قال تعالى:

[وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا] (الكهف: ٤٧) ، وقال تعالى: [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ] (إبراهيم: ٤٨) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» متفق عليه

"**أرض المحشر**: الأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) ﴿إبراهيم: ٤٨﴾ .

وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي " قال سهل أو غيره: " ليس فيها معلم لأحد " .ويجمع الناس كلهم على هذه الأرض ففي الحديث "يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون " رواه مسلم

٢-الحوض : الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المحشر يرده هو وأمته.

صفته : جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

الأدلة على الحوض : الأحاديث الواردة في الحوض متواترة، لا شك في تواترها عند أهل العلم بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسين صحابياً، وقد ذكر ابن حجر أسماء رواة أحاديثه من الصحابة ، ومن تلك الأحاديث : حديث أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء» متفق عليه

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه

أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا» متفق عليه

ما الفرق بين الحوض والكوثر ؟ دلت الأدلة على أن الحوض غير الكوثر ، ويظهر هذا من خلال ما يأتي :

الأول : الحوض في موقف القيامة ، وأما الكوثر فإنه في الجنة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر) .رواه البخاري .

الثاني :أن الكوثر أصل الحوض ومنه يمد ، بدليل أنه قال صلى الله عليه وسلم عن الكوثر : «نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه حوض» رواه مسلم

ما معنى عليه حوض؟ يوضحه رواية حذيفة عند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وأعطاني الكوثر فهو نهر من الجنة يسيل في حوضي) ويشهد له ما جاء عند مسلم من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يشْخَبُ (معناه السيلان) فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ)

أي الموقفين قبل : الحوض أم الصراط ؟ اختلف أهل العلم ، والصحيح ما ذهب إليه القرطبي رحمه الله أن الحوض قبل الصراط والميزان ، واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت ما شأنهم فقال إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت إلى أين؟ قال إلى النار) رواه البخاري ، فقالوا أن من جاوز الصراط سلم من النار ، وفي هذا الحديث أنهم لما وصلوا إلى الحوض أخذوا إلى النار ، فدل على أن الحوض قبل الصراط . ومال إلى هذا القول ابن كثير .

هل الحوض موجود الآن ؟ يعتقد أهل السنة أن الحوض موجود الآن ، فعن عقبة رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن " رواه البخاري

من يذاد عن الحوض ؟ ذكر أهل العلم أنهم ثلاثة أصناف :

الأول : المرتدون : ودليله قول النبي صلى الله عليه وسلم (يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) رواه البخاري

الثاني : المبتدعة المحدثون : ودليله الحديث السابق (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)

الثالث :من فحش ظلمهم وتعديهم وفسقهم وإفسادهم . قال ابن عبد البر في التمهيد (وَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ وَلَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ الْمُبْعَدِينَ عَنْهُ وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَشَدُّهُمْ طَرْدًا مَنْ خَالَفَ جَمَاعَةَ

الْمُسْلِمِينَ وَفَارَقَ سَبِيلَهُمْ مِثْلُ الْخَوَارِجِ عَلَى اخْتِلَافِ فِرَقِهَا وَالرَّوَافِضِ عَلَى تَبَايُنِ ضَلَالِهَا وَالْمُعْتَزِلَةِ عَلَى أَصْنَافِ أَهْوَائِهَا فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ يُبَدِّلُونَ وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَتَطْمِيسِ الْحَقِّ وَقَتْلِ أَهْلِهِ وَإِذْلَالِهِمْ وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ الْمُسْتَخِفُّونَ بِالْمَعَاصِي وَجَمِيعُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُخَافُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا عُنُوا بِهَذَا الْخَبَرِ)

العرض :

الْعَرْضُ لَهُ مَعْنَيَانِ: مَعْنًى عَامٌّ : وَهُوَ عَرْضُ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ بَادِيَةٌ لَهُ صَفَحَاتُهُمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ. وهذا يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ وَمَنْ لَا يُحَاسَبُ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: عَرْضُ مَعَاصِي الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم .

الأدلة : قوله تعالى : [يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية] ﴿ الحاقة: ١٨ ﴾، وقوله تعالى: [وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة] ﴿ الكهف: ٤٨ ﴾ ، وقوله تعالى: [ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون] ﴿ النمل: ٨٣ ٨٤ ﴾ وقوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ هود: ١٨ ﴾

وروى مسلم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أما إنكم تعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر)) .

وروى الترمذي في جامعه، في باب ما جاء في العرض، وابن ماجه والإمام أحمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرض الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله))، وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن لا آتيك، أرانا عفان وطبق كفيه، فبالذي بعثك بالحق، ما الذي بعثك به؟ قال: الإسلام، قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى، وأن توجه وجهك إلى الله تعالى، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من أحد توبة أشرك بعد إسلامه، قلت: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا

تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت. قال: تحشرون ها هنا - وأوما بيده نحو الشام - مشاة وركباناً وعلى وجوهكم، تعرضون على الله تعالى، وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه، وقال: ما من مولى له، فيسأله من فضل عنده، فيمنعه، إلا جعل الله تعالى عليه شجاعاً ينهشه قبل القضاء))

الحقيقة : ليس أحد من المكلفين إلا ستعرض صحائفهم على الله تعالى لا يخفى منها شيء ، فأما المؤمن فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الكافر فيحاسب حسابا عسيرا

أنواع العرض : العرض الكائن يوم القيامة ثلاثة أنواع :

الأول :عرض عام لجميع الخلائق برهم وفاجرهم أمام الله تعالى ،ومن أدلته قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿ الحاقة: ١٨ ﴾، وقوله تعالى: وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿ الكهف:٤٨ ﴾

الثاني :عرض خاص بالمؤمنين ، وهو الحساب اليسير ودليله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كَنَفَهُ (أي: ستره ولطفه وإكرامه) فيقرر بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف، مرتين. فيقول: أنا سترتها في الدنيا وأغفر لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادي على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) . عن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) ، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: [فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا] فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب)

الثالث : عرض خاص بالكفار والمنافقين ، وهو المناقشة ، وهو عرض فضيحة على رؤوس الأشهاد ، لا ستر فيه ولا مغفرة ، ودليله قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ هود: ١٨ ﴾

الحساب : هو توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً

الأدلة : قوله تعالى: [وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ) ﴿ البقرة: ٢٨٤ ﴾ وقوله تعالى: [فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون] ﴿ الحجر: ٩٢ ﴾ وقوله تعالى: [وقفوهم إنهم مسؤولون] ﴿ الصافات: ٢٤ ﴾ وقوله

تعالى: [إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم] ﴿الغاشية: ٢٦﴾ ، وقوله تعالى : (اليوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليوْمَ إِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ) ﴿غافر: ١٧﴾، وقوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ﴿الأنبياء: ٤٧﴾وغير ذلك من الآيات

وعن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) ، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: [فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا] فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) رواه البخاري

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) . رواه البخاري

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كَنَفَهُ (أي: ستره ولطفه وإكرامه) فيقرر بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف، مرتين. فيقول: أنا سترتها في الدنيا وأغفر لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادي على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) . رواه البخاري

وفي الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه)

أنواع الحساب: يتفاوت حساب العباد:

١-فبعض العباد يكون حسابهم عسيراً وهؤلاء هم الكفرة المجرمون الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وتمردوا على شرع الله، وكذبوا بالرسل .

٢- وبعض عصاة الموحدين قد يطول حسابهم ويعسر بسبب كثرة الذنوب وعظمها.

٣-وبعض العباد يدخلون الجنة بغير حساب، كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

٤-وبعض العباد يحاسبون حساباً يسيراً، وهؤلاء لا يناقشون الحساب، أي لا يدقق، ولا يحقق معهم، وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ثم يتجاوز لهم عنها، وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ- فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

يَسِيرًا) ﴿الانشقاق: ٧-٨﴾ ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ- فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) ﴿الانشقاق: ٧-٨﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك " ومعنى : (نوقش الحساب) أي : استقصي عليه.

ومعنى العرض والحساب : إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة .

ويوضح هذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله عز وجل يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك؛ قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون؛ فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين» متفق عليه

أول من يحاسب من الأمم: هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق" متفق عليه ، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعًا: "نحن آخر الأمم وأول من يحاسب" الحديث

.وأول ما يحاسب عنه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ كما في الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه وأبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ يقول الله تعالى لملائكته: انظروا لصلاة عبدي؛ أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة؛ كتبت له تامة، وإن كانت نقص منها شيئا؛ قال الله: انظروا: هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع؛ قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه. ثم تؤخذ الأعمال على ذلك".

وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" متفق عليه

الميزان : هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد يوم القيامة ، والوزن يكون بعد الحساب يقول

القرطبي: " وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها "

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان. قال تعالى: [وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا] (الأنبياء: ٤٧) ، وقال عز وجل: [فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ - وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ - فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ] (القَارعة: ٦-٩) . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» .

وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه «أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد) » صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

المسألة الأولى : هل الميزان واحد أم متعدد ؟ اختلف أهل العلم ، فقال قوم إنها موازين متعددة ، فلكل أمة ميزان أو لكل جنس من أجناس الأعمال ميزان ، أو لكل إنسان ميزان ، وحجة هؤلاء أن الميزان لم يأت في القرآن إلا مجموعًا كقوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) ﴿الأنبياء: ٤٧﴾ .

وذهب آخرون إلى أن الميزان واحد لجميع الأمم وهو الأظهر مستدلين بحديث سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت. فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك " رواه الحاكم وصححه ، وكذا الألباني وأجابوا عن استدلال أصحاب القول الأول بأن الموازين أتت مجموعة باعتبار الموزونات أو من باب التعظيم والتفخيم

المسألة الثانية : الميزان عند أهل السنة ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد ، له كفتان حقيقيتان ، تخف إحداهما أو تثقل بحسب ما يوضع فيها وهو دقيق جدا ، يزن مثاقيل الذر ، قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال

المسألة الثالثة : الأشياء التي يقع عليها الوزن : اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها، وأنها تجسم فتوضع في الميزان، ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان،

ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم

القول الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه، فقد دلّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم، وكثرة ما عليهم من لحم ودهن، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) ﴿الكهف: ١٠٥﴾ " .

ويؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، روى أحمد في مسنده، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، أنه كان رقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مم تضحكون؟ " قالوا: يا نبي الله من رقة ساقيه ".قال: " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد ".

القول الثالث: أن الذي يوزن إنما هو صحائف الأعمال. فقد روى الترمذي في ((سننه)) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء "

ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله، فقد دلت النصوص التي سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها، وهذا ما ذهب إليه ابن أبي العز والشيخ حافظ الحكمي

الصراط:

الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط: قال تعالى: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا –

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا] (مريم: ٧١، ٧٢) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: (. . «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا».

المسألة الأولى :صفة الصراط : وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويمرون فوقه على قدر إيمانهم على ما جاء في الحديث السابق.

المسألة الثانية : هل يمر الكفار على الصراط ؟

فيه تفصيل إن أريد بالكفار ، الكفار الصرحاء أي المظهرون للكفر فلا ، وإن أريد بهم المنافقون فنعم ، قال ابن رجب: في كتابه (التخويف من النار): (واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون، فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط)

ودليل ذلك روى مسلم في (صحيحه) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم

رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم))

المسألة الثالثة : أحوال المؤمنين في المرور على الصراط : يتفاوت الناس في المرور على الصراط تفاوتاً عظيماً وذلك لأن المرور عليه إنما يكون بقدر الأعمال الصالحة التي قدمها المرء المسلم لربه في الحياة الدنيا، ويمكن أن نلخص كيفية المرور بما يلي:

١ – يعطي الله كل إنسان نوراً على قدر عمله يتبعه على الصراط: كما في حديث جابر عند مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً. ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله)).

وكما في حديث ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فيعطون نورهم على قدر أعمالهم وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطي نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة، ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام)) رواه الحاكم

٢ – انطفاء نور المنافقين: في هذا الموقف الرهيب حيث تجد أن الذعر والخوف قد استحوذ على الناس، كلهم يريد النجاة بحشاشة نفسه من الكلاليب، والخطاطيف، فإذا نور المنافقين يطفأ كما في حديث جابر عند مسلم ((ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً. ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين. ثم

ينجو المؤمنون)). رواه مسلم

٤- اختلاف سرعة الناس في المرور على الصراط: تختلف سرعة الناس في المرور على الصراط وذلك باختلاف قوة النور الذي يعطى لهم على قدر أعمالهم كما بينا في الفقرة السابقة، ويدل عليه حديث ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخرُّ يد، وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد))رواه الحاكم

ومنهم من يزحف على الصراط زحفاً كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً)) رواه مسلم

أما آخر الناس مروراً على الصراط فهو المسحوب كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حتى يمر آخرهم يسحب سحباً)) متفق عليه

المسألة الرابعة : أول من يجيز الصراط:

الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أمته أول من يجيز الصراط: يدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه الذي فيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويضرب السراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها)) (. (وهذا لفظ البخاري).

المسألة الخامسة : نتيجة العبور على الصراط :بين الرسول صلى الله عليه وسلم مصير الناس بعد المرور على الصراط ((فناج مسلم، وناج مَخْدُوشٌ، و مَكْدُوسٌ في نار جهنم)) رواه البخاري

قال النووي رحمه الله : (معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم)

أهوال يوم القيامة : المراد بها : الأمور الشديدة العظام التي تقع بعد البعث من الحساب والميزان والمرور على الصراط وغيرها ، وبعدها دخول الجنة أو النار

الأدلة : قال تعالى :[فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة] ﴿ النازعات: ١٣ ، ١٤ ،وقال تعالى : [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا] ﴿ مريم: ٧١ ﴾ ، وقال تعالى : [وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ] ﴿ غافر: ١٨ ﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: (إذا الشمس كورت) ﴿ التكوير: ١ ﴾ ، (إذا السماء انفطرت) ﴿ الانفطار: ١ ﴾ ، (إذا السماء انشقت) ﴿ الانشقاق: ١ ﴾ . رواه الترمذي ، وعن عبد الله بن مسعود، قال: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له، ثم قرأ: [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون] متفق عليه

المسائل المتعلقة :

المسألة الأولى : تعدد أهوال القيامة : أهوال يوم القيامة كثيرة ومتنوعة ، منها :

١-قبض الأرض وطي السماء: يقبض الحق تبارك وتعالى الأرض بيده في يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، كما قال تبارك وتعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ﴿ الزمر: ٦٧ ﴾ ، وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض " متفق عليه

وفي تفصيل لما يجري في ذلك اليوم ، قال عبد الله بن مسعود: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له، ثم قرأ: [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون] متفق عليه

٢-دك الأرض ونسف الجبال :يخبرنا ربنا تبارك وتعالى أن أرضنا الثابتة، وما عليها من جبال صم راسية تحمل في يوم القيامة عندما ينفخ في الصور فتدك دكة واحدة: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ - وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً - فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) ﴿الحاقة: ١٣-١٥﴾ ، (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) ﴿الفجر: ٢١﴾ ، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) ﴿المزمل: ١٤﴾ ، أي تصبح ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه.

وأخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن، والعهن هو الصوف، كما قال تعالى: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) ﴿المعارج: ٩﴾ ، وفي نص آخر مثلّها بالصوف المنفوش: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) ﴿القارعة: ٥﴾ .

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوّي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع، ولا منخفض، وعبّر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها أخرى (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ﴿التكوير: ٣﴾ ، (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) ﴿النبأ: ٢٠﴾ . وقال في نَسْفِه لها: (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) ﴿المرسلات: ١٠﴾ . ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ﴿الكهف: ٤٧﴾ ، أي ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، كما قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا - فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا - لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) ﴿طه: ١٠٥-١٠٧﴾ .

٣-تفجير البحار وتسجيرها : هذه البحار تفجر يوم القيامة ، وتشتعل ناراً، قال تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) ﴿الإنفطار: ٣﴾ ، وقال: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) ﴿التكوير: ٦﴾ .

٤-موران السماء وانفطارها :أما سماؤنا فإنها تمور موراناً وتضطرب اضطراباً عظيماً قال تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) ﴿الطور: ٩﴾ ، ثم إنها تنفطر وتتشقق (إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ) ﴿الانفطار: ١﴾ ، (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ - وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) ﴿الانشقاق: ١-٢﴾ . وعند ذلك تصبح واهية (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ﴿الحاقة: ١٦﴾ .

٥- تكوير الشمس وخسوف القمر وتناثر النجوم: فإن الشمس تكور ويذهب ضوؤها كما قال تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿التكوير: ١﴾ والتكوير عند العرب جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها على بعض وإذا جمع بعض الشمس على بعض ذهب ضوؤها ورمى بها. أما القمر فإنه يخسف ويذهب ضوؤه فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ

وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿القيامة: ٧ – ٨﴾ أما تلك النجوم المتناثرة فإن عقدها ينفرط فتتناثر وتنكدر وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿الانفطار:٢﴾، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿التكوير:٢﴾.

المسألة الثانية : خوف الكافرين عند البعث ومشاهدة الأهوال :قال تعالى يصف حال الكافرين عند مبعثهم من قبورهم ، ورؤيتهم لأهوال القيامة العظام: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) (النازعات) قال ابن الجوزي مفسرًا : (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال يوم القيامة أيضا أَبْصارُها خاشِعَةٌ أي: ذليلةٌ لمعاينة النار. قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام. ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾)

المسألة الثالثة : المؤمنون المطيعون لا يلحقهم خوف أو حزن عند أهوال القيامة : لقوله تعالى : [فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] ﴿البقرة: ٣٨﴾ وقوله تعالى : [يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا – وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا] ﴿مريم: ٨٥ – ٨٦﴾ قال الألوسي : (استدل بالآية على أن أهوال القيامة تختص بالمجرمين لأن المتقين من الابتداء يحشرون مكرمين فكيف ينالهم بعد ذلك شدة)

المراد بالشفاعة وأنواعها وشروطها : الشفاعة : مشتقة من الشفع الذي ضد الوتر، واصطلاحا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة ، والمقصود بالشفاعة هنا : هي الشفاعة التي تكون يوم القيامة ، وهي من الأمور المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة

الشفاعة قسمان : وذلك من حيث ورودها في النصوص

القسم الأول: شفاعة مثبتة، وهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، وهي ما اجتمع فيها ثلاثة شروط:

١ – رضي الله عن الشافع. قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السموات لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (النجم: ٢٦) (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) (طه: ١٠٩)

٢ – رضي الله عن المشفوع له .قال تعالى: (وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الأنبياء: الآية٢٨) أي لمن رضيه الله عز وجل، ويستثنى من هذا الشرط حالتان : الأولى : في فصل القضاء حين يذهب الناس إلى الأنبياء ليشفع لهم في فصل القضاء

فيشفع لهم نبينا صلى الله عليه وسلم ، فيدخل في هذه الشفاعة جميع الناس ومنهم الكفار . الثانية : في حق عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب

والثالث: إذن الله بالشفاعة، قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: الآية ٢٥٥)

القسم الثاني : شفاعة منفية. قال تعالى : (ولا يقبل منها شفاعة) (البقرة : ٤٨) وهي التي انتفت فيها أحد الشروط الثلاثة ، كالشفاعة بدون إذن الله ، أو الشفاعة في الكفار ، أو كالتي تطلب من غير الله تعالى . قال تعالى : (قل لله الشفاعة جميعا) (الزمر : ٤٤)

أقسام الشفاعة المثبتة : قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة المثبتة إلى قسمين رئيسيين، هما: شفاعة خاصة ، وشفاعة عامة

القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة أنواع بالإجماع :

:الأولى : الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، الذي يرغب الأولون والآخرون فيه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليشفع إلى ربه كي يخلص العباد من أهوال المحشر. أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون لذلك اليوم، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مقامنا هذا، فيأتون آدم فيقولون:يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحيي ربه من ذلك، ويقول ولكن ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا فيقول:

لست هناكم، ويذكر خطيئته سؤال ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول:لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول:

لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير حق، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونني فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع» "

متفق عليه الحديث.

الشفاعة الثانية : شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة: عن أنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول شفيع في الجنة) رواه مسلم ، وعن حذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله عز وجل قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك وإنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى عليه السلام لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له " رواه مسلم

الشفاعة الثالثة : شفاعته في عمه أبي طالب: عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"رواه مسلم (الضحضاح ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ... واستعير في النار)

القسم الثاني: الشفاعة العامة له صلى الله عليه وسلم ولجميع المؤمنين وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلا شفعهم الله فيه "١ فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

النوع الثاني: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، روى البخاري عن عمران بن حصين -رضي اللهَّ عنه- عن النبي -صلى اللهَّ عليه وسلم- قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد -صلى اللهَّ عليه وسلم- ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين" ، وروى وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر -رضي اللهَّ عنه- قال: سمعت رسول اللهَّ -صلى اللهَّ عليه وسلم- يقول: "إن اللهَّ يخرج قومًا من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة" .

النوع الثالث: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم في أبي سلمة: " اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه "رواه مسلم ، والدعاء شفاعة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا

يشركون بالله شيئا؛ إلا شفعهم الله فيه "رواه مسلم

الشفاعة الثالثة :في دخول الجنة بلا حساب ، كما في حديث أبي هريرة وفيه ، (يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة) متفق عليه، قال بعض العلماء إن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم كالقاضي عياض والنووي والسيوطي ، وحصل عند ابن دقيق العيد وابن حجر نوع تردد في ذلك

الشفاعة الرابعة : الشفاعة لقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أن يدخلوا الجنة، وهؤلاء هم أهل الأعراف ، ويكونون عل الأعراف ابتداء فيمكثون على ذلك ما شاء الله ثم يدخلون الجنة ، روى الطبري عن وقال حذيفة: إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار، فجعلوا على الأعراف، يعرفون الناس بسيماهم، فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم .. إبراهيم موسى.. عيسى.. محمدا ... والشاهد فيه فآتي بهم الجنة، فأستفتح فيفتح لي ولهم

الشفاعة الخامسة : الشفاعة لقوم استحقوا النار ألا يدخلونها. عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" رواه الترمذي .

وجه الدلالة من الحديث أن أهل الكبائر لفظ عام ، يشمل الذين دخلوا النار والذين لم يدخلوها .

أدلة وجود الجنة والنار وأبديتهما وصفاتهما : اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وخالف في ذلك المعتزلة وزعموا أنهما لم تخلقا بعد ، وزعموا أن خلقهما يكون يوم القيامة ، لأن خلقهما الآن عندهم من العبث، لأنها تصير معطلة مددا متطاولة.

أما أهل السنة فقالوا : ليس هذا عبثًا ، بل هناك حكمًا عظيمة ، ومنها ، أن الله لم يزل يزيد في نعيم الجنة ، وكذلك النار يزيد الله فيها من أصناف العذاب ، بالإضافة إلى أن أرواح المؤمنين تنعم في الجنة ، وأرواح الكفار تعذب في النار .

وآمر آخر : أن العبرة بالأدلة الشرعية ، وليست بالخيالات العقلية المخالفة لها ، والأدلة الشرعية على وجود الجنة والنار كثيرة منها :

١ –قوله تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] آل عمران: ١٣٣ ، وقال تعالى: [سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] الحديد: ٢١، فدل التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين بالفعل الماضي على أنها موجودة بالفعل في الدنيا.

٢-وقال تعالى: [فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)] البقرة: ٢٤، وقال تعالى: [وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ] آل عمران: ١٣١، وقال تعالى: [إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)] النبأ: ٢١ - ٢٢، فدل التعبير بالماضي على أن النار وجدت فعلاً.

٣-عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) متفق عليه

٤-عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها) رواه مسلم

٥-عن أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي"قال: "ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». متفق عليه

٦-عن عبد الله ابن عباس، قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم». فذكر الحديث، وفيه: «فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: "إني رأيت الجنة، وتناولت عنقودا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ".

٧- عن أنس رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وايم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلا ﴿ ولبكيتم ﴾. كثيرا"قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: "رأيت الجنة والنار». رواه مسلم

أبديتهما :اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار باقيتان، لا تفنيان ، قال أبو الحسن الأشعري : (وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وإنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل

النار لا يزالون في النار يعذبون، وليس لذلك آخر) . وقال شيخ الإسلام : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك)

وقد خالفت الجهمية في أبدية الجنة والنار وقالوا بفنائهما .

الأدلة على دوام الجنة والنار كثيرة جداً، فمنها في بقاء الجنة:

قوله تعالى [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] ﴿التوبة: ١٠٠﴾ وقوله تعالى: [وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ] ﴿الحجر: ٤٨﴾ وقوله تعالى فيها: [عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ] ﴿هود: ١٠٨﴾ وقوله تعالى: [لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ] ﴿الواقعة: ٣٣﴾ وقوله تعالى: [إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ] ﴿ص: ٥٤﴾ وقال تعالى: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ] ﴿الدخان: ٥١﴾ إلى قوله: [لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى] ﴿الدخان: ٥٦﴾ وغيرها من الآيات .

وجه الدلالة من الآيات : أن الله أخبر بأبديتها وأبدية حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم وعدم خروجهم منها

ومثلها في بقاء النار، ومنها: قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا - خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] ﴿الأحزاب: ٦٤ - ٦٥﴾ وقوله تعالى: [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا] ﴿الجن: ٢٣﴾ وقوله تعالى: [وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ] ﴿البقرة: ١٦٧﴾ وقوله تعالى: [لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ] ﴿الزخرف: ٧٥﴾ وقوله تعالى: [لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا] ﴿فاطر: ٣٦﴾ وقوله تعالى: [إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا] ﴿طه: ٧٤﴾ وغير ذلك من الآيات

وجه الدلالة من الآيات : أن الله أخبرنا في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها، أنهم خالدون فيها أبدا، فنفى تعالى خروجهم منها بقوله: [وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ] ﴿البقرة: ١٦٧﴾ ونفى انقطاعها عنهم بقوله: [لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ] ﴿الزخرف: ٧٥﴾ ونفى فناءهم فيها بقوله: [ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا] ﴿الأعلى: ١٣﴾

ومن الأدلة من السنة على دوام الجنة والنار، وخلود أهلهما فيهما:- حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً: أنه: ((يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)) متفق عليه

وأما قول الله تبارك وتعالى: [خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ]

﴿ هود:١٠٧ ﴾، فأحسن ما قيل في جوابه: أن فيه بيان أن خلود أهل الجنة وأهل النار فيهما: إنما ذلك بمشيئته سبحانه، فلو شاء لأفنى الجنة، ولو شاء لأفنى النار، فالأمر إليه، وهو بمشيئته، لكنه أخبر بخلودهما سبحانه.

صفة الجنة والنار :

أولًا :صفة الجنة :

١ – الجنة لا مثل لها : قال تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ﴿ السجدة: ١٧ ﴾ ، وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) ﴿ السجدة: ١٧ ﴾ ،وعن سهل بن سعد الساعدي قال: شهدت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال – صلى الله عليه وسلم – في آخر حديثه: " فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ هذه الآية: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ﴿ السجدة: ١٦–١٧ ﴾ رواه مسلم

٢–أبواب الجنة: للجنة أبواب يدخل منها المؤمنون كما يدخل منها الملائكة (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) ﴿ ص: ٥٠ ﴾ ، (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ﴿ الرعد: ٢٣ ﴾ ، وأخبرنا الحق تبارك وتعالى أن هذه الأبواب تفتح عندما يصل المؤمنون إليها، وتستقبلهم الملائكة محيية بسلامة الوصول: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ﴿ الزمر: ٧٣ ﴾ .

وعدد أبواب الجنة ثمانية، روى مسلم عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ – الوضوء ثم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء))

٣–درجات الجنة: قال الله تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿ النساء: ٩٥ – ٩٦ ﴾. وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: ((أن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى

الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)) ، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)) ،وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وسنن ابن ماجة وصحي ابن حبان عن أبي سعيد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما "

٣-تربة الجنة: ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي ذر في حديث المعراج قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك "، وفي صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن تربة الجنة، فقال: " هي درمكة بيضاء مسك خالص " وفي مسند أحمد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في اليهود: " إني سائلهم عن تربة الجنة، وهي درمكة بيضاء، فسألهم، فقالوا: هي خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " الخبز من الدرمك ". الدرمكة: واحدة الدرمك، وهو الدقيق الحواري الخالص البياض

٤ – أنهار الجنة: أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار، (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) ﴿البقرة: ٢٥﴾ وأحيانا يقول: تجري تحتهم الأنهار: (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) ﴿الكهف: ٣١﴾ .

وقد حدثنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أنهار الجنة حديثا واضحا بينا، ففي إسرائه صلوات الله وسلامه عليه: " رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان: فنهران في الجنة وأما الظاهران: فالنيل والفرات ".رواه مسلم

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " رفعت لي السدرة، فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان: فنهران في الجنة".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة " ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها "

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللبن، ومنها الخمر، ومنها العسل المصفى.

قال تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) ﴿محمد: ١٥﴾ . وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن حكيم بن معاوية (وهو جد بهز بن حكيم) أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن في الجنة بحر العسل، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر الماء، ثم تنشق الأنهار بعد "

٥-عيون الجنة: في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب (إن المتقين في جنات وعيون) ﴿الحجر: ٤٥﴾ ، (إن المتقين في ظلال وعيون) ﴿المرسلات: ٤١﴾ ، وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه (فيهما عينان تجريان) ﴿الرحمن: ٥٠﴾ . وقال في وصف الجنتين اللتين دونهما (فيهما عينان نضاختان) ﴿الرحمن: ٦٦﴾ .

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءها صرفا غير مخلوط، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطا ممزوجا بغيره.

العين الأولى: عين الكافور قال تعالى: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا* عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) ﴿الإنسان: ٥-٦﴾ . فقد أخبر أن الأبرار يشربون شرابهم ممزوجا من عين الكافور، بينما عباد الله يشربونها خالصا.

العين الثانية: عين التسنيم، قال تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم* على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم* عينا يشرب بها المقربون) ﴿المطففين: ٢٢-٢٨﴾ .

ومن عيون الجنة عين تسمى السلسبيل، قال تعالى: (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا) ﴿الإنسان: ١٧-١٨﴾ . ولعل هذه هي العين الأولى نفسها.

٦-**قصور الجنة وخيامها**: يبني الله لأهل الجنة في الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى: (ومساكن طيبة في جنات عدن) ﴿التوبة: ٧٢﴾ . وقد سمى الله في مواضع من كتابه هذه المساكن بالغرفات، قال تعالى: (وهم في الغرفات آمنون) ﴿سبأ: ٣٧﴾ ، وقال في جزاء عباد الرحمن: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) ﴿الفرقان: ٧٥﴾ ، وقال تعالى واصفا هذه الغرفات: (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) ﴿الزمر: ٢٠﴾ .

قال ابن كثير: " أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة، (من فوقها غرف مبنية) ﴿الزمر: ٢٠﴾ ، طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات.

وقد وصف لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه القصور، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن علي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ".

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن في الجنة خياما، قال تعالى: (حور مقصورات في الخيام) ﴿الرحمن: ٧٢﴾ .

وهذه الخيام خيام عجيبة، فهي من لؤلؤ، بل هي من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا، وفي بعض الروايات عرضها ستون ميلا ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن قيس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون"، قال أبو عبد الصمد والحارث عن أبي عمران: "ستون ميلا ".

ورواه مسلم عن عبد الله بن قيس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا ".

وفي رواية عند مسلم: " في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن".

٧- **نور الجنة**:قال القرطبي: " قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم أبدا، وإنما يعرفون مقدار

الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفرج بن الجوزي.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:) ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (﴿مريم: ٦٢-٦٣﴾ : " أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلا ونهارا، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار ".

ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع: " والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش "

٧- ريح الجنة :للجنة رائحة عبقية زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات شاسعة، ففي مسند أحمد وسنن النسائي وابن ماجة ومستدرك الحاكم بإسناد صحيح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: " من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما ".

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما ".

٨-أشجار الجنة : أشجارها وثمارها كثيرة متنوعة دائمة، وقد أخبرنا الحق أن في الجنة أشجار العنب والنخل والرمان، كما فيها أشجار السدر والطلح، (إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا) ﴿النبأ: ٣١-٣٢﴾ ، (فيها فاكهة ونخل ورمان) ﴿الرحمن : ٦٨﴾ ، (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين* في سدر مخضود *وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة) ﴿الواقعة: ٢٧-٣٢﴾ ، والسدر هو شجر النبق الشائك، ولكنه في الجنة مخضود شوكه، أي منزوع. والطلح: شجر من شجر الحجاز من نوع العضاه فيه شوك، ولكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة.

وهذا الذي ذكره القرآن من أشجار الجنان شيء قليل مما تحويه تلك الجنان، ولذا قال الحق: (فيهما من كل فاكهة زوجان) ﴿الرحمن: ٥٢﴾ ، ولكثرتها فإن أهلها يدعون منها بما يريدون، ويتخيرون منها ما يشتهون (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) ﴿ص: ٥١﴾ ، (وفاكهة مما يتخيرون) ﴿الواقعة: ٢٠﴾ ، (إن المتقين في ظلال وعيون* وفواكه مما يشتهون)

﴿المرسلات: ٤١-٤٢﴾ ، وبالجملة فإن في الجنة من أنواع الثمار والنعيم كل ما تشتهيه النفوس وتلذه العيون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) ﴿الزخرف: ٧١﴾

٨-دواب الجنة وطيورها: في الجنة من الطيور والدواب مالا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى فيما يناله أهل الجنة من النعيم (ولحم طير مما يشتهون * وحور عين) ﴿الواقعة: ٢١-٢٢﴾ ، وفي سنن الترمذي عن أنس قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما الكوثر؟ قال: "ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر ". قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أكلتها أنعم منها ".

وأخرج أبو نعيم في الحلية، والحاكم في مستدركه عن ابن مسعود قال: "جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه الناقة في سبيل الله. فقال: " لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة ". وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ووافقهما الشيخ ناصر الدين الألباني . ورواه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ". رواه مسلم مخطومة: فيها خطام وهو قريب من الزمام.

ثانيًا : صفة النار :

١-سعة النار وبعد قعرها: النار شاسعة واسعة، بعيد قعرها، مترامية أطرافها، يدلنا على هذا أمور:

الأول: الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضخم حتى يكون ضرسه في النار مثل جبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عظم خلقهم، ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال: (ويوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ﴿ق: ٣٠﴾ .

وعن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط، بعزتك وكرمك " متفق عليه.

الثاني: يدل على بعد قعرها أيضا أن الحجر إذا ألقي من أعلاها احتاج إلى آماد طويلة حتى يبلغ قعرها، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، إذ سمع وجبة (٢) ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار إلى الآن ".

الثالث: كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة، فقد وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – مجيء النار في يوم القيامة، الذي يقول الله فيه: (وجاىء يومئذ بجهنم) ﴿ الفجر: ٢٣ ﴾ ، فقال: " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك " رواه مسلم عن عبد الله ابن مسعود

٢–دركات النار: النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة، وقد قال الحق تبارك وتعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) ﴿ النساء: ١٤٥ ﴾ . والعرب تطلق: " الدرك " على كل ما تسافل، كما تطلق: " الدرج " على كل ما تعالى، فيقال: للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهبت النار سفلا كلما علا حرها واشتد لهيبها ، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

٣–أبواب النار: أخبر الحق أن للنار سبعة أبواب كما قال تعالى: (وإن جهنم لموعدهم أجمعين* لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) ﴿ الحجر: ٤٣ – ٤٤ ﴾ . وعندما يرد الكفار النار تفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) ﴿ الزمر: ٧١ ﴾

٣–وقود النار: الأحجار والفجرة الكفار وقود النار، كما قال الحق: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) ﴿ التحريم: ٦ ﴾ ، وقال: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ﴿ البقرة: ٢٤ ﴾ .

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفرة المشركون، وأما نوع الحجارة التي تكون للنار وقودا فالله أعلم بحقيقتها، وقد ذهب بعض السلف إلى أن هذه الحجارة من كبريت، قال عبد الله بن مسعود: هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في المستدرك. وقال بهذا القول ابن عباس ومجاهد وابن جريج.

٤-شدة حرها وعظم دخانها وشرارها: قال الله تعالى: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال*في سموم وحميم*وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم) ﴿الواقعة: ٤١ - ٤٤﴾ ، وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس من الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئا، فهواء جهنم: السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها: اليحموم وهو قطع دخانها.

٥- النار تتكلم وتبصر: الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف النار يجدها مخلوقا يبصر، ويتكلم، ويشتكي، ففي الكتاب العزيز أن النار ترى أهلها وهم قادمون إليها من بعيد، فعند ذلك تطلق الأصوات المرعبة الدالة على مدى حنقها وغيظها على هؤلاء المجرمين، قال تعالى: (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ﴿الفرقان: ١٢﴾ . وقد خرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " يخرج يوم القيامة عنق من النار، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، تقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين " وصححه الترمذي.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر: للإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

١ - الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفا من عقاب ذلك اليوم.

٢ - تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٣ - استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده.

رابعًا : الإيمان بالقضاء والقدر :

١-معنى القضاء والقدر والفرق بينهما .

القضاء لغة : يطلق على معان كثيرة ، ترجع إلى إنهاء الشيء وإتقانه وتمامه ، قال الزهري: (القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه)

القدر لغة : مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقضاء والقدر في الشرع: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها

الفرق بين القضاء والقدر : للعلماء في التفرقة بين القضاء والقدر قولان:

القول الأول :أنه لا فرق بين القضاء والقدر ، فكلاهما بمعنى واحد

القول الثاني : التفريق بينهما ، واختلفوا في التفريق بينهما على قولين :

الأول أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء قال ابن الأثير: (فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه) .

الثاني: القضاء بمعنى حكم الله به في الأزل، والقدر وقوعه بحسب القضاء السابق ، قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: " القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل "

حكم الإيمان بالقدر : الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به ، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على لك ، قوله تعالى: إِنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿ القمر:٤٩ ﴾. وقوله: وَكَانَ أَمْرُ اللهِّ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿ الأحزاب: ٣٨ ﴾، وقوله: وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴿ الأنفال:٤٢ ﴾. وقال: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ

وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿الفرقان:٢﴾. وقال: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿الأعلى: ١ - ٣﴾. وروى مسلم في (صحيحه) عن طاووس قال: ((أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكَيْس، أو الكَيْس والعَجْز)) . وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: ((جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، فنزلت: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿القمر: ٤٨: ٤٩﴾)) . وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال (أي جبريل عليه السلام): صدقت)) والنصوص في ذلك كثيرة جداً

المراد من الإيمان بالقدر : هو الإيمان بخلق الله تعالى لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون .

أهمية الإيمان بالقدر : للإيمان بالقدر أهمية كبرى بين أركان الإيمان ، يدركها كل من له إلمام ولو يسير بقضايا العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان ؛ ولذلك ورد التنصيص في السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره .

وترجع أهمية هذا الركن ومنزلته بين بقية أركان الإيمان إلى عدة أمور :

الأول : ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله – تعالى – وكونه مبنياً على المعرفة الصحيحة بذاته – تعالى – وأسمائه الحسنى ، وصفاته الكاملة الواجبة له – تعالى – ، وقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم ، والإرادة ، والقدرة ، والخلق ، ومعلوم أن القدر إنما يقوم على هذه الأسس .

الثاني : حين ننظر إلى هذا الكون ، ونشأته ، وخلق الكائنات فيه ، ومنها هذا الإنسان ، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر .

الثالث : الإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لمدى الإيمان بالله – تعالى – على الوجه الصحيح ، وهو الاختبار القوى لمدى معرفته بربه – تعالى – ، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله ،وبما يجب له من صفات الجلال والكمال ؛ وذلك لأن القدر فيه من التساؤلات والاستفهامات الكثيرة لمن أطلق لعقله المحدود العنان فيها .

المراد من النهي عن الخوض في القدر: وردت عدة نصوص في النهي عن الخوض في القدر من ذلك : قوله تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ﴿الأنبياء: ٢٣﴾. ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم». قال: فقال عبد الله بن عمرو: "ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه"رواه ابن ماجه وصححه الألباني

وجه العلماء رحمهم الله تعالى الأحاديث الواردة في النهي بأن المنهي عنه إنما هو الخوض فيها بالباطل وعلى وجه التنازع والاعتراض على الله تعالى لأن التنازع مظنة الاختلاف وهو سبب من أسباب القول فيه بغير الحق. ولا شك أن ذلك منهي عنه، أما معرفة تفاصيل هذا الركن كما جاء في الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح حتى يتحقق الإيمان ويثمر ثماره المرجوة فلا يدخل في هذا النهي وقد بحث علماء السلف مسألة القدر وبينوا للناس الحق والصواب فيه حتى لا يضلوا، وحتى يكونوا على بصيرة من أمر دينهم

مراتب القدر وأدلتها : للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي:

المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: [لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] (الطلاق: ١٢) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين» .

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة. قال تعالى: [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ]﴿الحج: ٧٠﴾ (الحج: ٧٠) . وقال تعالى: [وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ] (يس: ١٢) . ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] (يس: ٨٢) . وقال تعالى: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (التكوير: ٢٩) . وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له» .

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه. قال تعالى: [اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] (الزمر: ٦٢) . وقال تعالى: [وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (الصافات: ٩٦) . وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض» .

الطوائف المنحرفة في القضاء والقدر والرد عليهم :خالف في القدر طائفتان :

الأولى : القدرية . الثانية : الجبرية

الفرقة الأولى : القدرية : وينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول :القدرية الغلاة ، وهم الذين نفوا العلم والكتابة فضلا عن المشيئة والخلق، حيث زعموا أن الله – تعالى عمّا يقولون – لا يعلم بالأشياء قبل حصولها، ولم يتقدم علمه بها، وقالوا: إنما يعلم الله بالموجودات بعد خلقها وإيجادها.

وزعم هؤلاء كذباً وزوراً أن الله إذا أمر العباد ونهاهم لا يعلم من يطيعه منهم ممن يعصيه، ولا يعلم من يدخل الجنة ممن يدخل النار، حتى إذا استجاب العباد لشرعه أو رفضوا – علم السعداء منهم والأشقياء.

وقد نشأ القول بهذا في آخر عهد الصحابة، فأول من قال به معبد الجهني،، ثم تقلد عنه هذا المذهب الفاسد رؤوس المعتزلة وأئمتهم كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بين عبيد، ورويت عنهم في هذا أقوال شنيعة فيها تكذيب لله ولرسوله في أن الله علم الأشياء وكتبها قبل خلقها .

وقد خشى الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته هذا الضلال الذي وقعت فيه هذه الفرقة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عساكر عن أبي محجن وابن عبد البر في "الجامع " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر " .

وروى أبو يعلى في مسنده والخطيب في التاريخ وابن عَدِيّ في الكامل بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أخاف على أمتي من بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم "

وهذه الفرقة ظهرت في آخر عهد الصحابة فقالوا بتكفيرهم، فعند مسلم أن يحيى بن يعمر قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني) ثم سأل عبد الله بن عمر قائلاً : (إنه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم -أي: يطلبونه طلباً حثيثاً، وفي رواية (يتفقرون) بالفاء قبل القاف، أي: يطلبون فقار العلم، ودقائقه ومسائله الغامضة العويصة- يقولون: لا قدر، وأن الأمر أنف ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)

وقد تلاشت هذه الطائفة التي تكذب بعلم الله السابق أو كادت، يقول السفاريني: " قال العلماء: المنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة "

وقال النووي: " قال أصحاب المقالات من المتكلمين: انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه"

القسم الثاني : القدرية النفاة ، وهم المعتزلة ومن وافقهم الذين نفوا الخلق والمشيئة عن الله تعالى ، فقالوا : إن العبد قادر على فعل نفسه ، وله فيه المشيئة الكاملة ، والقدرة التامة ، وأن مشيئته وقدرته مستقلة عن إرادة الله وقدرته ، وأن العباد خالقون لأعمالهم وأفعالهم ، وانها ليست مخلوقة لله

أدلة المعتزلة :استند المعتزلة إلى شبه عقلية وأدلة نقليه فيما ذهبوا إليه ، نذكر أهمها وهي :

الشبهة الأولى : لو كانت أفعال العباد فعلا لله لكان الله فاعلا للظلم والكفر الواقع من العباد ولوجب وصفه بذلك وذمه على ذلك ، وهذا كفر من قائله ، فالنتيجة أن أفعال العباد ليست خلقا لله

الشبهة الثانية : لو كان الله خالقًا لأفعال العباد ، لبطل الثواب والعقاب ، إذ كيف يعاقبهم الله على أمر خلقه فيهم ؟

الرد عليهم : جواب مجمل وجواب مفصل :

أما المجمل : أن الأدلة من الكتاب والسنة دلت على أن الله خالق لأفعال العباد ، فمن ذلك : قوله تعالى : [اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] ﴿ الزمر ٦٢ ﴾ وقوله : [وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] ﴿ الصافات: ٩٦ ﴾ وقوله : [وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] ﴿ الملك ١٣، ١٤ ﴾ ومن السنة عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته». رواه البخاري في خلق أفعال العباد، وابن أبي عاصم وغيرهما

أما المفصل : الرد على الشبهة الأولى :أن الظلم والفسق والقبائح إنما يتصف بها من كانت قائمة به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا جعلها صفة في غيره ، كما أنه لا يتصف سبحانه بما خلقه في غيره من طعم أو رائحة أو شكل قبيح ،فكذلك الأفعال القبيحة إنما يتصف بها من قامت به لا من خلقها .

الرد على الشبهة الثانية : أنه قد ثبت بالأدلة القاطعة ، أن الله خالق أفعال العباد ، كما ثبت بالأدلة القاطعة أن الإنسان مكلف ، وأنه سيلقى الجزاء يوم القيامة على ما عمله في الدنيا ، والله _ سبحانه وتعالى _ قد أقام الحجة على العباد ، وأعطاهم المشيئة والقدرة على الاختيار ، والعباد هم الفاعلون حقيقة لأفعالهم ، وإن كانت أفعالهم كلها مخلوقة لله _ تعالى _ : فإذا ثبت هذا ، ووضح الحق لطالب الحق ، بطل هذا السؤال الوارد ؛ إذ لا تعارض البتة بين تكليف العباد ، وبين خلق الله لأفعالهم ؛ لأن الله مكنهم ، وأقام الحجة عليهم ، ولم يجبرهم ، وأخبر أنه ليس بظلام للعبيد ، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة ، والله فطر العبد على محبته ، وتألهه ، والإنابة إليه ، فإذا لم يفعل العبد ما خلق له ، وفطر عليه ، عوقب على ذلك ، بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي

وأما أدلة المعتزلة النقلية :فاستدلوا بعدة آيات من القرآن أهمها :الآيات التي تثبت المشيئة للعباد ، قَوْلُهُ تَعَالَى [مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ] (آل عِمْرَان:١٥٢)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ] (التَّكْوِيْر:٢٨)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيْدِ] (فُصِّلَت:٤٦).

الرد عليهم : أن إثبات مشيئة العبد لا يعني استقلالها – من جهة الوقوع –، ولكنها تحت مشيئة الله تعالى كما في قوله تعالى [لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين] (التكوير:٢٩)

الفرقة الثانية : الجبرية وهم طائفتان:

الأولى : الجبرية الغلاة وهم الجهمية : أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا إن العبد لا قدرة له على عمله ، ولا إرادة له ولا اختيار له فيه ، وأن العباد مجبورون على أفعالهم وحركاتهم فيها كحركة

الأشجار عند مهب الريح ، وكحركة المرتعش ، وأنهم مجبورون على الطاعة والمعصية وإنما تنسب أفعالهم إليهم على سبيل المجاز أدلتهم : استدلوا بآيات من القرآن والسنة أهمها :

١-الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء ، مثل قوله تعالى : قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ سورة الأنعام:١٠٢ وقوله : [اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] (الزمر :٦٢) فهذه الآيات تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وأفعال العباد شيء؛ فالله خالقها وحده، ومن ثم فلا قدرة، ولا إرادة للعباد في أفعالهم؛ فهم مجبورون غير مختارين

<u>الرد عليهم من جهتين :</u>

الأولى : أن كون الآيات تدل على أن الله خالق شيء حق ، ولكن من أين يفهم منها أن العبد لا يكون قادرا مريدا ، فاعلا بمشيئته وقدرته ، وأنه هو الفاعل حقيقة ، وأفعاله قائمة به ، والله سبحانه خالقه ، بمعنى أنها مخلوقة له سبحانه وتعالى .

والثانية : أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة دلت على إثبات إرادة العبد وإضافة عمله إليه وإثابته عليه كرامة أو إهانة، ولو كان مجبرا عليها ما كان لإضافة عمله إليه وإثابته عليه فائدة.

٢_ واستدل الجبرية بالآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، وأنه لا مشيئة للإنسان إلا تحت مشيئة الله: كقوله _تعالى_: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة القصص:٦٨).

وقوله _تعالى_: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (سورة الإنسان:٣٠) وغيرها من الآيات في هذا السياق؛ فهم يرون أن الإنسان إذا كان مسلوب الإرادة، والله هو الذي يشاء ويريد، ويهدي ويضل _ فهو الخالق لأعمال العباد، وهم مجبورون لا إرادة لهم، ولا مشيئة، ولا خلق

<u>الرد عليهم</u> : أن الله تعالى أخبر في كثير من الآيات أن للعبد مشيئة مستقلة – من جهة اختياره –، ولكنها خاضعة لمشيئته تعالى؛ فلا يقع إلا ما شاءه الله تعالى، كما قال تعالى: [لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين] (التكوير:٢٩).

٣_ واستدل الجبرية بالآيات التي تنفي الفعل عن العبد، وتثبته لله: كقوله _تعالى_: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾.

الرد عليهم : أن استدلالهم بهذه الآية حجة عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله صلى الله عليه وسلم رميا، بقوله: [إذ رميت]، فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي في الآية له معنيان:

أحدهما: حذف المرمي، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي أضافه الله إليه.

والثاني: إيصال المرمي إلى أعين الكفار الذين رماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتراب يوم بدر فأصاب عين كل واحد منهم، وهذا من فعل الله؛ إذ ليس بمقدور النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصل التراب إلى عين كل واحد منهم .

فالمعنى حينئذ – والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب.

الطائفة الثانية من الجبرية: الجبرية المتوسطة وهم الأشاعرة : قالوا : إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي مع كونها خلق الله فهي كسب العبد وله عليها قدرة غير مؤثرة ، قال البيجوري : (وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطناً مختار ظاهراً)

الرد عليهم :

١ –أن قولهم متناقض غير معقول ، فإن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلا في الفعل كان وجودها كعدمها ولم تكن قدرة

٢-أن النصوص الشرعية قد دلت على خلق الله لأفعال العباد وإثبات القدرة لهم عليها، ونسبتها لهم حقيقة، واستحقاقهم المدح والذم والثواب والعقاب وفقاً لها.

أنواع الإرادة وعلاقة الأمر الشرعي بالإرادة ، وعلاقة المشيئة بالمحبة وموقف المخالفين من ذلك ونقده

الإرادة نوعان: **١ –إرادة كونية قدرية** **٢ –وإرادة دينية شرعية.**

١-إرادة كونية قدرية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، ولا يلزم منها المحبة والرضا ، فقد يكون بها ما يحبه الله ويرضاه مثل طاعة المؤمنين وعباداتهم التي أراد الله وقوعها منهم، ، وقد يكون بها ما لا يحبه ولا يرضاه مثل كفر الكافرين ومعصية العصاة الواقعة منهم، فإنها لم تقع منهم إلا بعد إرادة الله وقوعها، لكن الله عز وجل لا يحبها بل يبغضها ويكرهها، وإن كانت واقعة بإرادته الكونية القدرية. ، ودليلها قوله تعالى: [فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا] ﴿الأنعام: ١٢٥﴾ وقوله تعالى: [وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ] ﴿المائدة: ٤١﴾ الآيات، وغيرها.

٢- إرادة دينية شرعية :وهي التي تتضمن معنى المحبة والرضى ، ولا تستلزم وقوع المراد إلا إذا تعلقت بالإرادة الكونية)، ودليلها قوله تعالى: [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] ﴿ سورة البقرة: ١٨٥ ﴾، وقوله تعالى: [يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم] ﴿ سورة النساء: ٢٦ ﴾. [والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا] ﴿ سورة النساء: ٢٧، ٢٨ ﴾. وقوله تعالى: [ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم] ﴿ سورة المائدة: ٦ ﴾. وقوله تعالى: [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا] ﴿ سورة الأحزاء: ٣٣ ﴾.

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية :

الأول: أن الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد، فقد يريد الله الشيء شرعا ولا يقع.

الثاني: الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وما لا يحبه. فمثلا الإيمان والعمل الصالح مراد لله شرعا لا كونا؛ لأن من الناس من لم يؤمن ومن لم يعمل صالحا، ولو كان مرادا لله كونا وقدرا للزم أن يؤمن الناس كلهم ويعملوا صالحا.

خالف أهل السنة في تقسيم الإرادتين طائفتان :

الأولى : المعتزلة القدرية: أثبتوا الإرادة الشرعية وأنكروا الإرادة الكونية وزعموا أن كفر الكافر ومعصية العاصي لا تدخل تحت إرادة الله ولا تقديره .

وقالوا إن الأمر يستلزم الإرادة فكل ما أمر به فقد أراده ، وقالوا علمنا أن الله لم يأمر بالكفر والمعاصي فهو لم يردها .

والطائفة الثانية :الجبرية: أثبتوا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الشرعية وقالوا إن الكفر والمعاصي مرادة الله ومحبوبة له وقد جبرهم عليها لا خيار لهم في تركها .

وقالوا إن الأمر لا يستلزم الإرادة ولهذا لم يأمر الله بالكفر وأراده .

وشبهة الفريقين عدم الفرق بين الإرادة الشرعية والكونية وتسويتهم بينها وظنهم أن الإرادة والمشيئة مستلزمة المحبة والرضا

فذهبت القدرية إلى إنكار المشيئة والإرادة فيما يقع من الكفر والمعاصي لأن الله لا يحبها ولا يرضاها

وذهبت الجبرية إلى أن الله يحب الكفر والمعاصي لأنه شاءها وقدرها

وأما أهل السنة والجماعة ، فيفرقون بين الإرادة وبين المحبة والرضا كما دلت عليه النصوص ، فيقولون: إنه وإن كان يريد المعاصي قدرًا فهو لا يحبها ولا يرضاها ، بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها، وهؤلاء يفرقون بين مشيئة الله وبين محبته. وهذا قول السلف قاطبة ، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

معنى خلق أفعال العباد ومذهب السلف في ذلك وأدلته :

مذهب السلف في خلق أفعال العباد: إن الله خالق أفعال العباد كلها، والعباد فاعلون حقيقة، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم. وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

وجه كون الله خالقا لفعل العبد : أن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين هما: ١ـ الإرادة ٢ـ القدرة

فلولا الإرادة لم يفعل ولولا القدرة لم يفعل، لأنه إذا أراد هو عاجز لم يفعل، وإذا كان قادرا ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعل ناتجا عن إرادة جازمة وقدرة كاملة ، فالذي خلق الإرادة الجازمة والقدرة الكاملة هو الله ، وبهذا الطريق عرفنا كيف يمكن أن نقول إن الله تعالى خالق لفعل العبد ، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة فهو المتطهر وهو المصلى وهو المزكي وهو الصائم وهو الحاج وهو المعتمر وهو العاصي وهو المطيع، لكن هذه الأفعال كلها كانت ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقين لله عز وجل ، وبهذا كانت أفعال العباد خلق لله والأمر ولله الحمد واضح.

الأدلة على خلق الله لأفعال العباد: قوله تعالى: [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (الصافات: ٩٦) ،: [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] (القمر: ٤٩) ، وقوله : [ذلكم الله ربكم خالق كل شيء] ﴿غافر: ٦٢﴾ ، وقوله : [وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم] ﴿الأنعام: ١٠١﴾، وقوله : [لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه] ﴿الأنعام: ١٠٢﴾ وقوله : [هل من خالق غير الله] ﴿فاطر: ٣﴾ ، وقوله : [وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] ﴿الملك ١٣، ١٤﴾، وقوله: [وَلَكِنَّ اللهَّ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ] ﴿الحجرات: ٧﴾، وقوله: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)] (الشمس: ٧ – ١٠)، وغير ذلك من الآيات، وللبخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة مرفوعا: «أن الله يصنع كل صانع وصنعته»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها إنك وليها ومولاها» رواه مسلم

معاني الحكمة والتعليل ،والهدي والضلال ، وعلاقة الأسباب بالقدر والرد على المخالفين

الحكمة :هي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها

والعلة : هي يعبر بها عما لأجله يفعل الفعل ، فيقال : فعل الفعل لعلة كذا أو لم يفعل لعلة كذا

والعلة نوعان: ١ ـ علة فاعلية ٢ ـ علة غائية.

١ ـ علة فاعلية: وهي سبب وجود الشيء، فيقال: علة وجود الخلق قدرة الله وخلقه، مثالها في القرآن قوله تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] ﴿يس: ٨٢﴾.

٢ ـ علة غائية: وهي الغاية من وجود الشيء، فيقال: علة وجود الخلق عبادة الله تعالى، ومثالها في القرآن قوله تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] ﴿الذاريات: ٥٦﴾.

فالعلة الفاعلية هي السبب ، والعلة الغائية هي الحكمة فلا فرق بين العلة الغائية والحكمة

مذهب السلف في الحكمة والتعليل : أن لله حكمة في كل ما خلق، قال ابن القيم "إنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى"

ومن الأدلة التي ذكرها :

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله: [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ] وقوله: [وَأَنْزَلَ اللهُّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] وقوله: [وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً]

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله: [ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] وقوله: [رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِّ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] وقوله: [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ] وقوله: [لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ] وقوله: [وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ]

النوع الثالث الإتيان بكي الصريحة في التعليل كقوله تعالى: [مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ] فعلل سبحانه تسمية الفيء بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ]

المخالفون في مسألة تعليل أفعال الله :

طائفتان :

الطائفة الأولى : قول من نفى الحكمة وأنكر التعليل، وهؤلاء يقولون: إن الله تعالى خلق المخلوقات، وأمر المأمورات، لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة، وهذا مذهب الجهمية والأشاعرة

والأشاعرة لهم حجج وشبهم أشهرها قولهم : إن التعليل في أمره وخلقه يستلزم الحاجة والاستكمال بالغير ، وذلك نقص في ذاته ، وهو ممتنع في حقه ، لأنه ينافي غناه المطلق .

الرد عليهم :

أحدها : قولهم : أحدها : قولهم : إن إثبات الحكمة يستلزم أن يكون ناقصا بذاته: يقال لهم : أتعنون به أنه كان عادما شيئًا من الكمال الذي يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد ، أم تعني به أن يكون عادما لما ليس كمالا قبل وجوده، أم تعنون به معنى ثالثا ؟ .

فإن ادعيتم الأول : كان ممنوعًا ، فالله متصف بالكمال أزلًا وأبدًا ، والكمال هو من لوازم ذاته ، إذ هو الغني الحميد ، فلا يفتقر إلى غيره ، لا في أفعاله ، ولا في ذاته ، ولا في صفاته .

وإن ادعيتم الثاني فهو حجة عليكم ، لأن عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه كمال، كما أن وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده كمال، فليس عدم كل شيء نقصاً، بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص، كما أن وجود ما لا يصلح وجوده نقص، فيكون حينئذ نافي الحكمة هو الذي وصف الله تعالى بالنقص لا مثبتها

الثاني : وهو قولهم : (مستكملا بغيره) كلام مجمل ، فإنه يقال لهم : أتعنون به أن الحكمة التي يجب وجودها إنما

حصلت له من شيء خارج عنه، أم تعنون به أن تلك الحكمة نفسها غير له وهو مستكمل بها ؟

فإن قصدتم الأول فهو باطل فإنه لا رب غيره ولا خالق سواه ولم يستفد سبحانه من غيره كمالا بوجه من الوجوه بل العالم كله إنما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه .

وإن قصدتم الثاني : فتلك الحكمة صفته سبحانه، وصفاته ليست غيرا له، فإن حكمته قائمة به وهو الحكيم الذي له الحكمة، كما أنه العليم الذي له العلم، فثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه كما أن كماله سبحانه بصفاته وهو لم يستفدها من غيره

الطائفة الثانية : قالت : إن الله فعل المفعولات وخلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة، منفصلة عنه، لا ترجع إليه، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم

الرد عليهم : المعتزلة أحسنوا هنا بإثبات الحكمة لله فيما يتعلق بأمره وخلقه ، ولكنهم أخطؤوا في إنكارهم الحكمة التي تعود إلى الخالق ، وهذا باطل فالله عز وجل حكيم، والحكيم من له الحكمة ، لأن إثبات المشتق يؤذن بثبوت المشتق منه، والأدلة المثبتة لحكمة الله تعالى كثيرة منها : [قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] (البقرة آية ٣٢) ، وقوله تعالى: [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (البقرة آية ١٢٩) ، وقوله تعالى :[فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] (النساء آية ١١) ، وقوله: [وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً] (الفتح آية ٤) ، وقوله: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] (الإنسان آية ٣٠)

معنى الهدى والضلال :

الهدى في اللغة : الرشاد والدلالة

وفي الشرع :الهداية في الشرع على قسمين :

الأولى : هداية التوفيق : وهي جعل الهدى في القلوب ، وهي المستلزمة للاهتداء ، ولا يقدر عليها إلا الله تعالى .

والثانية : هداية الدلالة والإرشاد ، وتعني نصب الأدلة ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ولا تستلزم حصول التوفيق ، وإن كانت شرطا فيه

والضلال في اللغة : قال في اللسان: قال أبو منصور: "والإضلال في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق

والضلال شرعًا : هو العدول عن طريق الحق بلا علم ، وهو ضد الاهتداء

ومذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الهداية والإضلال : أن الهداية والإضلال بيد الله عز وجل ، فهو يهدي من يشاء نعمة منه وفضلا ، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا قال تعالى : [يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] ﴿ فاطر: ٨ ﴾، وقال تعالى :: [إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ] ﴿ النحل: ٣٧ ﴾، وقال : [وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهَّ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهَّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] ﴿ الْحَدِيدِ: ٢٩ ﴾ ، وقال : [وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [﴿ سورة البقرة: ١٠٥ ﴾ قوله -صلى اللهَّ عليه وسلم-: "من يهدي اللهَّ فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .. "رواه مسلم

المخالفون في الهداية والإضلال: طائفتان: المعتزلة ، والجبرية

الطائفة الأولى : المعتزلة والقدرية قالوا: الهداية والإضلال بيد العبد وليس بيد الله وتأولوا النصوص في مثل قوله: [يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] قالوا معناه: يهدي أي يسميه مهتديا ويبين لهم طريق الصواب ، ويضل من يشاء قالوا: يسميه ضالا أو يحكم عليه بالإضلال بعد أن يخلق الضلال من نفسه.

الرد عليهم : من جهة النقل والعقل

أما من حيث اللغة فقد قال ابن القيم : (وليس في لغة أمة من الأمم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداه بمعنى سماه مهتديا وأضله سماه ضالا وهل يصح أن يقال علمه إذا سماه عالما وفهمه إذا سماه فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى: [لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاء] فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتم مهتدين ولكن الله يسمي من يشاء مهتديا وهل فهم أحد قط من قوله تعالى: [إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْت] لا تسميه مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم)

أما من حيث النقل :فيقال لهم : نعم قد يكون الهدى من الله بيان طريق الصواب ، قوله تعالى : [وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى](فصلت : ١٧) ، لكن حصرها بهذا النوع لا يوافقون عليه فإنه سبحانه قد وصف نفسه بالهداية التي هي التوفيق والإلهام ودليله : [فَمَنْ يُرِدِ اللهَّ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء] (الأنعام : ١٢٥) ، ولهذا نفاها أي هداية التوفيق عن نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه [إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] (القصص : ٥٦)

الطائفة الثانية : الجبرية : وهم المنكرون أن العبد له فعل أو إرادة ، وينسبون فعل العبد وإرادته لله ، وطرد قولهم في هذا الباب هو أن الضلال ينسب إلى العبد مجازا وهو فعل الله على الحقيقة ، وهو قول في غاية البطلان والبعد عن الدين

والعقل والفطرة واللغة ، فإن نسبة الأفعال في الهدى والضلال إلى من قامت بهم الأفعال وارتكبوها مما يتفق عليه العقلاء ويؤكده الشرع ويوضحه ، قال تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقال (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وقال : (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) فهذه النصوص الكثيرة فيها دلالة واضحة على أن الضلالة هي فعل العبد واكتسبها وقامت به ، فهي تنسب إليه ويعاقب عليها ، والمنسوب إلى الله من ذلك تقديره وخلقه للفعل في العبد .

علاقة الأسباب بالقدر : الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقدر ، وليس مناقضاً للقدر ولا منافياً له ، فالقدر لا ينافي الأسباب القدرية أو الشرعية التي جعلها الله تعالى أسباباً، فإن الأسباب من قدر الله تعالى، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أجل صفات الله عز وجل، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

وإذا كان القدر لا ينافي الأسباب ، فلا يترك العمل من أجل القدر المكتوب ، ولا يترك الدعاء والاستعانة بالله ، بل يجب عليه أن يعمل ويستعين ويتوكل على الله ، يجمع بينهما ، لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالا لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : قول الله تعالى لمريم: [وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً] والله جل وعلا قادر على أن يسقط لها الرطب من غير هز الجذع، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجذع

ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله قوله تعالى عن يعقوب: [وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة] أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به، لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين لأنهم أحد عشر رجلا أبناء رجل واحد، وهم أهل جمال وكمال وبسطة في الأجسام، فدخولهم من باب واحد مظنة لأن تصيبهم العين فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة تعاطيا للسبب في السلامة من إصابة العين؛ ومع هذا التسبب أرجع الحكم والأمر إلى الله فجمع بين التسبب في قوله: [لا تدخلوا من باب واحد] وبين التوكل على الله في قوله: [عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون]

ومن الأدلة على ذلك : أن قد النبي – صلى الله عليه وسلم – جمع بين هذين الأصلين –فعل السبب مع التوكل– في الحديث الصحيح، حيث يقول "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما

ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم

فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز، وأكد على الإيمان بالقدر ، وعدم التحسر على ما مضى

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

فالطرف الأول: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها، حتى قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة لا بها. وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالى في ربط المسببات بأسبابها.

والطرف الثاني: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجداً مع الله تعالى وخالفوا السمع والحس. فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالى: [يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ] ﴿الأنبياء: ٦٩﴾ . فكانت برداً وسلاماً عليه ولم يحترق بها.

وأما الوسط: فهم الذين هدوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة. وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وفقوا للصواب وجمعوا بين المنقول والمعقول، والمحسوس.

٢-حكم الاحتجاج بالقدر ، وأدلة ما يشرع منه وما يمنع :

أولًا : الاحتجاج بالقدر على ترك أمر مشروع أو فعل أمر محرم لا يجوز ويدل على ذلك الكتاب والسنة والنظر:

- أما الكتاب: فمن أدلته قوله تعالى: [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ] ﴿الأنعام: ١٤٨﴾ فأبطل الله حجتهم هذه بقوله: [كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا] ﴿الأنعام: ١٤٨﴾ .

ومنها قوله: [رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] ﴿النساء: ١٦٥﴾ .

فبين الله تعالى أن الحجة قامت على الناس بإرسال الرسل، ولا حجة لهم على الله بعد ذلك، ولو كان القدر حجة ما انتفت بإرسال الرسل.

وأما السنة: فمن أدلتها ما ثبت في الصحيحين عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة". قالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ [فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى] ﴿الليل: ٥-١٠﴾ .

– وأما النظر: فمن أدلته:

١– أن تارك الواجب وفاعل المحرم يقدم على ذلك باختياره لا يشعر أن أحداً أكرهه عليه، ولا يعلم أن ذلك مقدر؛ لأن القدر سر مكتوم فلا يعلم أحد أن شيئاً ما قدره الله تعالى إلا بعد وقوعه.

فكيف يصح أن يحتج بحجة لا يعلمها قبل إقدامه على ما اعتذر بها عنه؟!!

ولماذا لم يقدر أن الله تعالى كتبه من أهل السعادة، فيعمل بعملهم، دون أن يقدر أن الله كتبه من أهل الشقاوة، ويعمل بعملهم؟!

٢– أن إقحام النفس في مآثم ترك الواجب وفعل المحرم ظلم لها وعدوان عليها، كما قال الله تعالى عن المكذبين للرسل: [وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم] ﴿هود: ١٠١﴾ . ولو أن أحداً ظلم المحتج بالقدر على مخالفته، ثم قال له: ظلمي إياك كان بقدر الله. لم يقبل منه هذه الحجة، فكيف لا يقبل هذه الحجة بظلم غيره له، ثم يحتج بها بظلمه هو لنفسه؟!

٣– أن هذا المحتج لو خير في السفر بين بلدين أحدهما: بلد آمن مطمئن فيه أنواع المآكل، والمشارب، والتنعم، والثاني: بلد خائف قلق، فيه أنواع البؤس، والشقاء، لاختار السفر إلى البلد الأول ولا يمكن أن يختار الثاني محتجاً بالقدر، فلماذا يختار الأفضل في مقر الدنيا، ولا يختاره في مقر الآخرة؟

ثانيًا : الاحتجاج بالقدر على المصائب دون المعايب جائز لا بأس به ويدل على ذلك أبي هريرة أيضا قال: قال رسول اله

– صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتج آدم وموسى – وفي لفظ: تحاج آدم وموسى – فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثاً". وعند أحمد: "فحجه آدم". أي غلبه في الحجة. فآدم عليه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وموسى عليه السلام لم يلم أباه آدم على ذنب تاب منه، وتاب الله عليه منه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم من موسى على المصيبة التي أخرجت آدم وأولاده من الجنة.

فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب

ثالثًا : الاحتجاج بالقدر على ترك الواجب، أو فعل المحرم بعد التوبة جائز مقبول، لأن الأثر المترتب على ذلك قد زال بالتوبة فانمحى به توجه اللوم على المخالفة، فلم يبق إلا محض القدر الذي احتج به لا ليستمر على ترك الواجب، أو فعل المحظور ولكن تفويضاً إلى قدر الله تعالى الذي لابد من وقوعه، وهذا الرأي ذهب إليه ابن القيم رحمه الله عند كلامه على حديث احتجاج آدم وموسى ، قال رحمه الله : " الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته، كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءَة من الحول والقوة.

ثمرات الإيمان بالقدر: لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك:

١ – الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢ – راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣ – طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤ – طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

خامسًا :مباحث الإيمان :

١ –معنى الإيمان حال الاطلاق والتقييد مع الاستدلال

تعريف الإيمان في اللغة : التصديق والإقرار

وأما في الشرع : فلإطلاقه حالتان:

الأولى: حالة الاطلاق : الإيمان إذا جاء في النصوص مطلقًا غير مقيد ، فيراد به الدين كله، القول والعمل ، كقوله عز وجل: [الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور] ﴿ البقرة: ٢٥٧ ﴾ وقوله: [والله ولي المؤمنين] ﴿ آل عمران: ٦٨ ﴾ وقوله تعالى: [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] ﴿ الحديد: ١٦ ﴾ ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا في قوله عز وجل: [إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم] ﴿ الأنفال: ٢-٤ ﴾ في الصحيحين: عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه «قال لوفد عبد القيس: آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم» في الصحيحين: النبي صلى الله عليه وسلم – أنه قال: [الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان]

قال شيخ الإسلام : (اسم " الإيمان " يستعمل مطلقا ويستعمل مقيدا وإذا استعمل مطلقا فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.)

والحالة الثانية: أن يستعمل مقيَّدا ، فيقرن بالإسلام أو الأعمال الصالحة فحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه وكقوله تعالى: [الذين آمنوا وعملوا الصالحات] ، وكقوله – صلى الله عليه وسلم –: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان) رواه أبو داود وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله.

قال شيخ الإسلام : (وأما إذا قيد الإيمان فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح فإنه قد يراد به ما في القلب من الإيمان باتفاق الناس وهل يراد به أيضا المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون حين الاقتران داخلا في مسماه؟ بل يكون لازما له على مذهب أهل السنة أو لا يكون بعضا ولا لازما هذا فيه ثلاثة أقوال للناس)

٢-دخول الأعمال في مسمى الإيمان عند أهل السنة وأدلة ذلك:

قال الحافظ ابن رجب في "شرح الأربعين" وغيره: "المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان" .

وفي كتاب الأم للإمام الشافعي -رضي اللهَّ عنه- في باب النية: كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون:"الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" .

والأدلة الدالة على دخول الأعمال في الإيمان كثيرة منها : قوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا] ﴿الأنفال: ٢ - ٤﴾.

وقوله تعالى :[وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ] ﴿البقرة١٤٣﴾ والمراد بالإيمان هنا هو الصلاة إلى بيت المقدس، لأن سبب نزول الآية أنه لما حولت القبلة إلى الكعبة كان هناك أناس من الصحابة ماتوا قبل تحويلها فلم يدروا ما يقولوا فيهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية. رواه البخاري

وقوله تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ] ﴿المؤمنون١ - ٤﴾

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي اللهَّ عنهما- عن النبي -صلى اللهَّ عليه وسلم- أنه قال لوفد عبد القيس: "آمركم بأربع: الإيمان باللهَّ، وهل تدرون ما الإيمان باللهَّ؟ شهاده أن لا إله إلا اللهَّ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس" .

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة -رضي اللهَّ عنه- عن النبي -صلى اللهَّ عليه وسلم- قال: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا اللهَّ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من

الإيمان"

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ

٣-**مذاهب المرجئة والوعيدية في مسمى الإيمان ونقدها :** خالف السلف في الإيمان فرقتان: المرجئة والوعيدية

أولا: المرجئة :المرجئة من الإرجاء ، وهو لغة التأخير ، وسموا بذلك لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان ، ، والمرجئة فرق عديدة ، وتفصيلها ما يأتي :

الفرقة الأولى : الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان ، الإيمان عندهم هو معرفة القلب ،فمعرفة الله عندهم كافية في دخول المرء في الإيمان ، وهذا المذهب باطل ولاشك ، لأنه يلزم منه إيمان إبليس لأنه عرف الله بل أقر بربوبيته فقال : (رب) ، ويلزم على هذا المذهب أن يكون فرعون مؤمنًا ، وهذه اللوازم تكفي في بطلان هذا المذهب الرديء

الفرقة الثانية : الكرامية ،أتباع محمد بن كرام ، قالوا إن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب ،فمن أتى بالشهادتين فهو مؤمن عندهم ، وإن لم يصدق بقلبه ، ولكنهم يرون أنه مؤمن في الدنيا ، وأما في الآخرة فإن لم يوافق ما في لسانه ما في قلبه فإنه يكون مخلدًا في النار

وقولهم هذا في غاية البطلان لأنه يلزم عليه أن يجوز أن يطلق على المنافقين إنهم مؤمنون ، لأنهم أتوا بكلمة التوحيد بألسنتهم ، مع كونهم مكذبين بقلوبهم ، وهذا باطل وقد بين الله بطلانه في قوله : [إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ] المنافقون آية (١) ، فهم كاذبون في الإيمان ، ويكفي في بطلان هذا المذهب أن يكون من يسمى مؤمنا مخلدًا في النار ، وهذا من أبطل الباطل ، لأن المؤمن لا يخلد في النار بالإجماع القطعي .

الفرقة الثالثة : مرجئة الفقهاء ، وهو الذي قال به الإمام أبو حنيفة وأصحابه: قالوا الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان ولا يدخلون العمل في مسمى الإيمان

الفرقة الرابعة : الأشاعرة والماتريدية ، قالوا إن الإيمان هو التصديق القلبي فقط ، لكنهم يرون أن الشهادتين شرط في إجراء أحكام الإسلام ، وعليه فمن أتى بالتصديق ولم يقر بلسانه فإنه في أحكام الدنيا كافر ، ولكنه عند الله مؤمن ناج اعتمد الأشاعرة والماتريدية في القول بمذهبهم على ثلاثة أشياء ، وهي

١ – أن الإيمان في اللغة هو التصديق، واستدلوا بقوله تعالى: [وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا] ﴿يوسف١٩﴾ أي بمصدق لنا، وما دام الإيمان في اللغة التصديق فهو كذلك في الشرع. وهذا أهم أدلتهم، وهو عمدتهم في عدم دخول العمل في الإيمان.١

٢ – أن الله فرق بين الإيمان والعمل الصالح في آيات كثيرة مثل: [وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] ﴿العصر١، ٢﴾ وقالوا: العطف يقتضي المغايرة.٢

٣ – أن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان قبل أن يوجب عليهم الإعمال في مثل قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] ﴿البقرة١٨٣﴾ .

الرد على استدلالاتهم:

١ – الرد على استدلالهم باللغة:

إن الاستدلال باللغة غير صحيح لعدة أسباب:

أ – أن لفظ التصديق ليس مرادفا للفظ الإيمان لما يلي:

١ – أن لفظ الإيمان يتعدى باللام مثل "بمؤمن لنا" و"آمن له لوط" ويتعدى بالباء مثل "آمنا بالله"، أما لفظ التصديق فلا يتعدى باللام إلا نادرا وإنما يتعدى بنفسه مثل "صدقه" أو بالباء مثل "صدق به".

٢ – أن لفظ الإيمان يقابله لفظ الكفر فيقال "أمن به وكفر به" بخلاف لفظ التصديق فإنه يقابله لفظ التكذيب فيقال "صدقه وكذبه".

٣ – أن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، فيقال "آمن بالله وآمن بالملائكة"، وذلك لما في لفظ الإيمان من الائتمان. أما التصديق فيستعمل في الخبر عن الغائب والمشاهد فيقال لمن قال: الله موجود أو السماء فوقنا: صدق.

ب – لو سلم أن الإيمان هو التصديق ، فإن الأعمال يستعمل فيها لفظ التصديق ، ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه".فهذا عمل واستعمل فيه لفظ التصديق

وقال الحسن البصري رحمه الله: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال".

ج – إن الاستدلال باللغة هنا غير صحيح، لأن الخلاف بين المرجئة والسلف ليس في معنى الإيمان اللغوي، وإنما الخلاف في معناه الشرعي ومن المعلوم أن الشارع له اصطلاحات في الألفاظ خاصة به مثل لفظ الصلاة والزكاة والحج لها معان في اللغة، ولكن الشارع أضاف عليها قيودا واستخدمها استخداما خاصا، فإذا أطلقت في كلام الشارع فلا يراد بها إلا المعنى الشرعي، فكذلك لفظ الإيمان إذا كان معناه في اللغة التصديق، فلا يلزم أن يكون هو معناه في الشرع، بل إنا وجدنا الشارع قد أضاف إلى التصديق الأعمال والأقوال،وسمى الكل إيمانا فيكون الشارع أراد بلفظ الإيمان معنى خاص به كما أراد بلفظ الصلاة معنى خاص.

٢ – الرد على استدلالهم بأن الإعمال الصالحة عطفت على الإيمان في آيات عديدة والعطف يقتضي المغايرة.

الجواب عنه بجوابين :

الأول : أنه لا يلزم أن يكون العطف مقتضيًا للمغايرة دائمًا ، فإن العطف قد يكون بين متباينين فيكون مقتضيًا للمغايرة مثل قوله تعالى: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] ﴿الأنعام١﴾ ، وقد يكون عطفًا للشيء على نفسه لاختلاف الصفة كقوله تعالى [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى] ﴿الأعلى١ – ٣﴾ فعطف "الذي قدر فهدى" على "الذي خلق فسوى" وهو واحد وهو الله عز وجل، وإنما عطفه لاختلاف الصفتين ، وقد يكون العطف عطفًا لبعض الشيء على الشيء وهذا الذي يسمى عطف الخاص على العام كقوله تعالى: [حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى] ﴿البقرة٢٣٨﴾ فالصلاة الوسطى بعض الصلوات. وقوله تعالى: [تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا] ﴿القدر٤﴾ والروح هو جبريل وهو من الملائكة، وإنما ذكر بالتخصيص للاعتناء به والتنبيه على قدره وعطف العمل الصالح على الإيمان من هذا الجنس إنما عطفه على الإيمان وهو جزء منه للتنبيه عليه والعناية به.

الثاني : يلزم على قولهم أن تكون الصلاة والزكاة ليست من الأعمال الصالحة لقول الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ..) والعطف عندهم يقتضي المغايرة دائمًا فالصلاة والزكاة يختلفان عن الأعمال الصالحة ! وكل جواب لهم على الآية هو جوابنا عليهم في قولهم

٣ – الرد على استدلالهم بأن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان قبل أن يفرض عليهم الأعمال.

والجواب عن ذلك: أن الله خاطب المؤمنين باسم الإيمان، الذي كان واجبا عليهم وآمنوا به من قبل، لأن فرائض الإسلام وشرائعه نزلت مفرقة فأول ما أوجب على عباده الشهادتين فآمنوا بها وأقروا ، فزادهم الشرائع الأخرى الصلاة

ثم الصيام والزكاة ، وكلما نزلت شريعة خاطبهم باسم الإيمان الذي كانوا عليه من قبل، لأنهم لو لم يؤمنوا بما نزل من الشرائع متأخرا كالحج ونحوه لكفروا ولم ينفعهم إيمانهم السابق، فإنما خاطبهم الله باسم الإيمان السابق على نزول الفريضة.

الفرقة الثانية :الوعيدية : وهم من قطع بإنفاذ الوعيد في أهل الإيمان والإسلام، ولم ير لأهل الفسق في الرحمة نصيب ولا رجاء، والمراد بهم هنا: المعتزلة والخوارج.

قول الخوارج والمعتزلة في الإيمان: قالوا: إن الإيمان هو جميع الطاعات الواجبة وهو لا يزيد ولا ينقص.

ومن أخل بشيء من الواجبات أو ارتكب شيئاً من المنهيات، فقد خرج من الإسلام ودخل في الكفر عند الخوارج، أما المعتزلة فعندهم أنه خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر فهو في منزلة بين المنزلتين

أدلة الخوارج والمعتزلة:

استدل الخوارج على قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة بالأدلة التي ورد فيها إطلاق الكفر على مرتكب بعض المعاصي مثل قول الله عز وجل: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] ﴿المائدة ٤٤﴾ . ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: "أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر"رواه مسلم أو قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر" رواه مسلم.

واستدل المعتزلة بالنصوص التي تسلب الإيمان عن العاصي وتصفه بالفسق، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.." رواه مسلم، أو حديث "لا إيمان لمن لا أمانة له" رواه أحمد ، أو حديث "والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه" رواه البخاري ونحو ذلك من الأحاديث.

الرد على الخوارج والمعتزلة يكون من وجهين:

الوجه الأول: في بيان معنى النصوص التي استدل بها كل من الخوارج والمعتزلة.

أولاً: أدلة الخوارج: الأدلة التي استدل بها الخوارج وفيها وصف عامل بعض الأعمال بالكفر أجاب العلماء عنها بعدة أجوبه ، أصحها أن المراد ليس الكفر الأكبر، وإنما هو كفر دون كفر.

ومما يدل على صحة هذا، أن الشارع ورد عنه تقسيم بعض هذه التسميات إلى قسمين، وذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..". فدل هذا على أن الشرك شركان أكبر وأصغر.

وكذلك ما ورد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ] ﴿الأنعام٨٢﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك،ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه [يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] ﴿لقمان١٣﴾ رواه البخاري

فهذا دليل على أن الظلم ظلمان، ظلم دون ظلم، وهو ظلم العبد لنفسه بالذنوب، وظلم عظيم وهو الشرك.

ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً،ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"رواه البخاري ومن هذا الباب لفظ الكفر، فقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الكفر على بعض الأعمال، وفسره بغير الكفر بالله، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط" رواه البخاري ومما يدل على هذا المعنى ماروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] ﴿المائدة٤٤﴾ قال: هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله. وروي عنه أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق.

وروي عن عطاء أنه قال في الآية كفر دون كفر، فسق دون فسق، وظلم دون ظلم. ومثله قال طاووس، وهو ما رجحه ابن جرير.

وهو ما يشير إليه صنيع النووي في تبويبه لصحيح مسلم، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وما رجحه شارح الطحاوية، وهو أرجح الأقوال في جواب الأحاديث التي وصفت بعض الذنوب بالكفر

ثانياً: أدلة المعتزلة: الأدلة التي استدل بها المعتزلة وفيها نفي الإيمان عن مرتكبي بعض الأعمال، فليس المراد بنفي الإيمان أنه لم يبق معه شيء من الإيمان، وإنما هو نفي لكماله الواجب الذي يعرض تاركه للعقوبة، فقوله: "لا إيمان لمن لا

أمانة له" يعني أنه فاقد للجزء المهم من الإيمان الذي بفقده يصبح صاحبه كأنه خال منه، وهو مثل صانع يصنع عملاً لأحد، إلا أنه لم يحسنه فيقال له: ما صنعت شيئاً، أو مثل طالب العلم يذهب ليتعلم العلم ثم لم يحسن التعلم فجاء علمه قليلاً ضعيفا فيقال عنه إنه لم يتعلم شيئاً، ولا يعني ذلك نفي الصفة ولا نفي العلم بتاتاً، وإنما يعني نفي حقيقته، ونفي الشيء الذي به يستحق أن يوصف به.

فكذلك الإيمان إذا وقع صاحبه في تلك الذنوب، إنما ينفي عنه حقيقته وإخلاصه، الذي لو كان موجوداً عنده لعصمه وأبعده عن تلك الموبقات والمحرمات. والله أعلم.

الوجه الثاني في الرد على الخوارج والمعتزلة : وهو في بيان أن المعاصي لا تزيل الإيمان ولا توجب كفر فاعلها:

أجمع أهل السنة على أن المعاصي لا توجب الكفر واستدلوا لذلك بعدة أدلة:

١ - أنه لو كان كفراً مخرجاً من الملة لكانوا بذلك مرتدين،ووجب قطع نكاحهم وتوارثهم، ولوجب قتلهم لردتهم. وهذا كله لم يقع من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحكم الله بذلك فنجد أن الله حد الحدود في الزاني البكر الجلد، وفي الثيب الرجم، وفي شارب الخمر الجلد، وفي السارق القطع. والنبي صلى الله عليه وسلم نفذ هذه الحدود فيمن ارتكب شيئاً من المنهيات، ولم يقتل إلا من كان حده القتل، وكذلك فعل أصحابه رضوان الله عليهم. فهذا دليل واضح على أنه لا يخرج من الإسلام ولا يكفر.

٢-أن الله جل وعلا قد أثبت الإيمان لبعض العصاة في مثل قوله عز وجل: [وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ] ﴿الحجرات٩﴾ .

فوصفهم بالإيمان في حال القتال، وهذا يدل على أنهم لا يخرجون بذلك من الدين. وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في كلامه عن الحسن بن علي رضي الله عنه: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".١

فوصفهم بالإسلام مع وقوع القتال بينهم، مما يدل على عدم خروجهم من الإسلام.

٣-أنهم في الآخرة تحت المشيئة داخلون تحت عموم قوله عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] ﴿النساء٤٨﴾ .

كما ثبت في أحاديث كثيرة خروج أناس كثير من العصاة من النار، كما أن أحاديث الشفاعة تدل على أنه لا يخلد في النار إلا الكفار، فلو كان مرتكبو الكبائر كفاراً كفراً أكبر لكانوا من الخالدين في النار، وفي هذا كفاية ومقنع لمن هداه الله.

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان والفرق بينها

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقَال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية، ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين، وإذا انفرد الإسلام دخل فيه الإيمان، وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام، وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.

معنى زيادة الإيمان ونقصانه: الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

أدلة زيادة الإيمان ونقصانه : من الكتاب قول الله تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] (محمد: ١٧) ، وقال تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] (الأنفال: ٢) ، وقال تعالى : [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] (آل عمران، الآية: ١٧٣) ، وقال تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ] (الفتح: ٤) . وقوله: [وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] (التوبة، الآية: ١٢٤) وقوله: [وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً] (المدثر، الآية: ٣١)

ومن السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"رواه أحمد

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"مَن أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان"رواه أبو دا ود

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"رواه مسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن النساء: "وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن"، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين".رواه مسلم

٣-أسباب زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه :

أولًا : أسباب زيادة الإيمان :

١- تعلم العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

٢- قراءة القرآن الكريم وتدبره

٣- معرفة الأسماء الله الحسنى والصفات العلا

٤- تأمل سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

٥- تأمل محاسن الدين الإسلامي

٦- قراءة سيرة سلف هذه الأمة

٧- التأمل في آيات الله الكونية.

٨-الاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله

أسباب نقص الإيمان :

١- الجهل .

٢- الغفلة والإعراض والنسيان .

٣- فعل المعاصي، وارتكاب الذنوب .

٤- النفس الأمارة بالسوء.

٥- الشيطان .

٦- الدنيا وفتنها ومغرياتها .

٧- قرناء السوء.

ثالثًا : تفاضل أهل الإيمان فيه: أهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان كما ذكر الله تبارك وتعالى أقسامهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله] ﴿ فاطر: ٣٢﴾ الآيات. فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه. وإلى سابق بالخيرات، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفا مما به بأس، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وأما الظالمون لأنفسهم فهم الذين اجترؤوا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

٤-معنى الاستثناء في الإيمان وحكمه : وهو قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله ، أو أنا مؤمن أرجو ، أو أرجو أن أكون مؤمنًا ، ونحوها

حكم الاستثناء في الإيمان عند أهل السنة والجماعة :الاستثناء في الإيمان له حالتان :

الحالة الأولى : إذا أريد كمال الإيمان : يكون الاستثناء مشروعًا ، وذلك لما يلي :

١- أنَّ الإيمان المطلق شامل للقول والاعتقاد والعمل، شامل للأمور الواجبة والمستحبة، ولا يمكن لأحد أن يجزم لنفسه بأنَّه استكمل هذه الأمور كلها.

٢- أنَّ الإيمان النافع هو المتقبل، ولا يمكن لأحد أن يجزم بأن عمله متقبل.

٣-البعد عن تزكية النفس

الحالة الثانية : أن يريد بالاستثناء الشك في أصل إيمانه ، فلا يجوز ، وهذا مما لا خلاف فيه

والأدلة الدالة على جواز الاستثناء على مذهب أهل السنة والجماعة :

قوله تعالى [لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ] ﴿الفتح:٢٧﴾

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول:" السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد "رواه مسلم

المخالفون لأهل السنة والجماعة في الاستثناء في الإيمان طائفتان :

الأولى : من يحرم الاستثناء ، وهم الجهمية والمرجئة وغيرهم الذين يجعلون الإيمان شيئاً واحدا -وهو التصديق بالقلب- يعلمه الإنسان من نفسه. ومن استثنى فقد شك، وسموا المستثنين الشكاكة.

الثانية : الكلابية والأشعرية، قالوا بوجوب الاستثناء في الإيمان باعتبار الموافاة، فيقولون: إيمان الحال نقطع به ولا نستثني فيه، لكن إيمان المآل وهو الذي يوافي به العبد ربه نستثني فيه. وهذا على اعتبار أنهم لا يدرون بم يختم لهم، وهل سيبقون على هذا الإيمان أم لا. فاستثناؤهم باعتبار المآل لا باعتبار الحال.

سادسًا : الصحابة والإمامة :

١ – المراد بالصحابة وحقوقهم ، وحكم من سبهم أو أبغضهم :

١ –**تعريف الصحابي:** هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلمًا ومات على ذلك، قال الإمام أحمد : (كل من صَحبه سنة أو شهرا أو يَوْمًا أو سَاعَة وَرَآهُ فَهُوَ من أَصْحَابه لَهُ الصُّحْبَة) وقال البخاري : (من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه فهو من أصحابه)

٢–حقوق الصحابة :

١ –محبتهم وموالاتهم : الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. ، وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قوله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] ومن السنة حديث أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»

٢–اعتقاد فضلهم وعدالتهم وأنهم صفوة الأمة وأكملها ، والأدلة على ذلك كثيرة فمن ذلك : وقال تعالى: [وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة:١٠٠) . وقال جل جلاله: [لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ] وقال تعالى: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً] (الفتح: من الآية ٢٩) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"رواه مسلم. وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»

٣-اعتقاد تفاضلهم حسب ما وردت به النصوص : من المتقرر عند أهل السنة أن الصحابة رضي الله عنهم مشتركون في القضل متفاوتون في الأفضلية ، فأفضل الصحابة على الاطلاق العشرة المبشرون بالجنة ،ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم أهل أحد .

وأفضل الصحابيات خديجة وفاطمة وعائشة رضي الله عنهن

٤-لزوم ذكرهم بالخير والثناء عليهم ونشر محاسنهم ، قال ابن أبي زمنين رحمه الله: (ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم)

٥-الشهود لهم برحمة الله والجنة إجمالا ، والشهود تعيينا لمن عين في الكتاب والسنة ، ويدل على ذلك [وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] ﴿التوبة: ١٠٠﴾

ويشهد بالجنة لمن شهد له الله في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته كالعشرة المبشرين ، وأهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان

٦-الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقًا لقوله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] ﴿الحشر: ١٠﴾ .

٧- الكف عن ذكر مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"

٨- السكوت عما شجر بينهم وعدم الخوض فيه ،وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: (وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب) ،وقال شيخ الإسلام في بيان عقيدة السلف : (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ

الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ.وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ. وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.)

٩-بغض من يبغضهم ورد إفكه وصد عدوانه عنهم ،قال الإمام الطحاوي في عقيدته: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإسحان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"

١٠-الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ، قال ابن أبي حاتم: (وندب الله عزوجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم فقال: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، و قال ابن مسعود - ﷺ - ((مَن كانَ مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، أولئك أصحابُ محمد عليه الصلاة والسلام -، كانوا رضي الله تعالى عنهم أفضلَ هذه الأمة: أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دِينه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتبعُوهم في أثرهم، وتمسَّكوا بما استَطَعْتُم من أخلاقِهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)) وقال الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم

حكم سب الصحابة :حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سب الصحابة أشد التحذير وأمر بالإمساك عن القدح فيهم أو الطعن،ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"،وثبت عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا". والمراد: إذا ذكروا بغير الجميل.

وساب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يُعَزَّر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول ، ونقل عن الإمام أحمد ، قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فَمَنْ فعل ذلك أُدِّبَ فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع. .

٢-الخلفاء الراشدون وفضلهم وأدلة خلافتهم والرد على منكري ذلك .

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق ، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

فضلهم : الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» رواه أحمد .

و أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة نورد حديثًا واحدًا منها لكل واحد منهم:

فمما جاء في فضل أبي بكر رضي الله عنه ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على منبره: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر» .

ومما جاء في فضل عمر رضي الله عنه ما ثبت في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» . ومعنى محدّثون: مُلْهَمُون.

ومما جاء في فضل عثمان رضي الله عنه، حديث عائشة الطويل الذي قالت فيه: «دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوى ثيابه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» .

ومما جاء في فضل علي رضي الله عنه ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عشية خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسولَه، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله على يديه. . . فقال: ادعوا لي عليًّا. .

. فدفع الراية إليه ففتح الله عليه»

أدلة خلافتهم:

١- عن سعيد بن جهمان عن سفينة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء» . قال سعيد: قال لي سفينة: أمسك عليك: أبا بكر سنتين، وعمر عشرا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا. قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليا رضي الله عنه لم يكن بخليفة! قال: كذبت أستاه بني الزرقا (يعني: بني مروان) .

الحديث رواه: الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "مستدركه"، وهذا لفظ أبي داود.

٢-عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود

٣-عن حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ، ثم سكت.)) رواه الإمام أحمد

الرد على منكري خلافة الخلفاء الراشدين : خالف في خلافة الخلفاء الراشدين :

١-الخوارج قالوا بإمامة أبي بكر وعمر، وبإمامة عثمان إلى الوقت الذي ادعوا أنه أحدث، وبإمامة علي بن أبي طالب إلى أن حكّم وتبرؤوا منهما بعد ذلك

٢-المعتزلة قالوا بإمامة أبي بكر وعمر، وفسقوا عثمان وعلياً .

٣- الرافضة قالوا بإمامة علي رضي الله عنه ، وأنكروا إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه

٤- النواصب من بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام أنكروا خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الرد عليهم : ما رواه الإمام أحمد وغيره عن سعيد بن جهمان عن سفينة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء» . قال سعيد: قال لي سفينة: أمسك عليك: أبا بكر

سنتين، وعمر عشرا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا. قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليا رضي الله عنه لم يكن بخليفة! قال: كذبت أستاه بني الزرقا (يعني: بني مروان) .

ورى البيهقي في دلائل النبوة عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خلافة نبوة ثلاثون عامًا، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»

قال ابن كثير في البداية والنهاية : "وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة، وعلى النواصب من بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام في إنكار خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ".".

٣-المقصود بآل البيت ومكانتهم وحقوقهم :

آل البيت: هم آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الذين حرّمت عليهم الصدقة. وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

مكانة آل البيت : أهل البيت لهم منزلة رفيعة ودرجة عالية ،دلت عليها النصوص الشرعية فمن ذلك :

١- أنهم أشرف الناس على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ويدل على ذلك ما رواه مسلمٌ في صحيحه عن واثلةَ بنِ الأسْقَع رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنَّ اللهَ اصطفى كِنانَةَ مِن ولدِ إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنَانَة، واصطفى مِن قريشٍ بَنِي هاشِم، واصطفانِي مِن بَنِي هاشِم ".

٢-وجوب محبتهم والثناء عليهم وإكرامهم وتوقيرهم وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خمٍّ: «أُذكِّرُكُم الله في أهل بيتي مرتين» رواه مسلم .

٣-تحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم أو تنقصهم بقول وعمل ، عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: دَخَلَ الْعَبَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ، وَلِقَرَابَتِي " رواه الإمام فأهل السنة يحبون أهل بيت رسول الله ويكرمونهم، لأن ذلك من محبة النبي صلى الله عليه وسلم وإكرامه، وذلك شرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة. كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم.

ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين ولو كان من أهل البيت فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حين أنزل عليه [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] ﴿الشعراء: ٢١٤﴾ (الشعراء: ٢١٤).

فقال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا»

حقوق آل البيت :

١-دخولهم في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة والسلام على آل البيت مشروعة مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالإجماع ، وجائزة مفردة ، والسلام له نفس حكم الصلاة ، بل هو أوسع وأعم في المشروعية والجواز .

٢-محبتهم وتوقيرهم : أهل السنة والجماعة يعتقدون وجوب محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتولونهم جميعًا ، ويحفظون وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، قال شيخ الإسلام : (ولا ريب أنه لآل محمد – صلى الله عليه وسلم – حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش)

٣-حقهم من الغنيمة والفيء :ومن حقوق آل البيت التي يجب رعايتها ، ما جعل الله لهم من الغنيمة الفيء ، وهو الخمس ، قال تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) (الأنفال: ٤١) .

وقال تعالى: [مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ولذي القربى] (الحشر: ٧)

المراد بالإمامة وطرق انعقادها ، وحكم تعدد الأئمة ، وحقوق ولاة الأمر ، وتحريم الخروج عليهم :

تعريف الإمامة : الإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أمَّ) تقول: (أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره)

في الاصطلاح : الإمامة في الاصطلاح عند الإطلاق يراد بها الإمامة العظمى ، وموضوعها تولي أمور الناس ، وأما عند التقييد فإنها تنصرف إلى المقصود من المتكلم .

فبالمعنى العام المطلق عرَّفها الماوردي بقوله : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا)

وقال ابن خلدون : (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليهم، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين، وسياسة الدنيا بها)

طرق انعقاد الإمامة : من الأمور المتفق عليها بين أهل السنة والجماعة أن الإمامة تنعقد بإحدى ثلاث طرق :

الأولى: اختيار أهل الحل والعقد ، والدليل عليها تنصيب الخليفة الراشد أبو بكر – رضي الله عنه –

والثانية: عهد الخليفة السابق ،وهي التي تسمى الاستخلاف ، والدليل عليها فعل أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما–، فأبو بكر رضي الله عنه عند موته عهد بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه ، وكذلك عمر رضي الله عنه عهد بها عند موته إلى أهل الشورى، فقبل الصحابة ما فعله أبو بكر وعمر ولم ينكره أحد.

والثالثة: عن طريق القهر والغلبة ، قال ابن حجر: (قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء)

حكم تعدد الأئمة : تعدد الأئمة لها صورتان :

الأولى : أن تنعقد الإمامة ابتداء لإمامين في وقت واحد ، وفي بلد واحد ، وهذا حكمه المنع مطلقًا ، وعليه انعقد الإجماع ،قال القرطبي: (فأما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد، وبلد واحد، فلا يجوز إجماعًا)

والدليل على المنع : وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».رواه مسلم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر". رواه مسلم

وعن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" رواه مسلم

الثانية : وهي عقد الإمامة لخليفتين كلاهما مستقل بقطر دون الآخر : الصواب في هذا جواز ذلك نظرًا للحاجة ، قال ابن تيمية : (والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة: لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق)

وقال الشوكاني : (وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه ، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر، أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر ، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة أو السلاطين ، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر ، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته ، وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تحت ولايته ، لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها ، ولا يدرى من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق)

حقوق ولاة الأمور :

الحق الأول : السمع والطاعة في المعروف : دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] ﴿النساء: ٥٩﴾ (النساء: ٥٩) .

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» رواه البخاري

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب

وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» رواه البخاري

الحق الثاني : الدعاء له بالصلاح والمعافاة ، كما قال الفضيل : لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان ، فيلح أهل السنة في أوقات الإجابة في الدعاء له بالهداية والصلاح والمعافاة"﴿١٦﴾ .

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعيَّة (ص١٢٩): ((ولهذا كان السَّلَفُ كالفُضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوةٌ مجابةٌ لدعونا بها للسلطان))

الحق الثالث :نصيحته : السنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيدًا عن الإثارة والتهويل يدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه»

الحق الرابع : نصرته وتقديره : يدل على ذلك أيضًا ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر ...)) رواه مسلم

وعن زياد بن كسيب العدوي قال: ((كنت مع أبي بكرة – رضي الله عنه – تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله)) رواه الترمذي

الحق الخامس : الصبر على جوره وظلمه: ويدل على ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شبرًا فمات إلاَّ مات مِيتةً جاهليّة"رواه البخاري ومسلم

قال الطحاوي: "ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة".

الحق السادس : أداء العبادات خلفه ومعه : قال الإمام أحمد: "والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة على أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء، عدلوا فيها أم جاروا والانقياد إلى من ولاه الله أمركم، لا تنزع يداً من

طاعته ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً".

وقال الحافظ الصابوني: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف".

تحريم الخروج على ولاة أمور المسلمين :

من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم، وإن كان ظالمًا فاسقًا ، وحجتهم في ذلك ما ورد عن النبي من الأحاديث الكثيرة الصحيحة في المنع من ذلك، ولما يترتب على الخروج عليه من مفاسد عظيمة على العباد والبلاد ، تفوق مفاسد ظلمه وجوره

والأدلة على ذلك كثيرة فمن ذلك :

١-عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال:"بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان" متفق عليه

٢- عن عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه- قال:"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم"، قالوا: قلنا: يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك، قال: "لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة" رواه مسلم

٣-وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم سترون بعدي أثرة، وأمورا تنكرونها» قلنا: فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: ((أعطهم حقهم الذي جعل الله لهم، وسلوا الله حقكم)) رواه الإمام أحمد

٤-وعن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم

٥-وعن ابن عباس - رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية» متفق عليه

٦-وعن ابن عباس - رضي الله عنه- عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» متفق عليه